کتاب

اسرار النجاح

تألیف

ابراهیم رمزی

obeikandi.com

فهرست الكتاب

المقدمة

٣ أنفع النصائح
٧ الاعتماد على النفس
١٢ الوقت ثمين
١٦ مصادر الثروة
٢١ الثبات على العمل
٢٣ اختيار العمل
٢٦ أهم الأعمال الصناعة

باب الزراعة

٣١ في الزراعة
٣٥ استغلال الأراضي
٤١ كلمة ختامية في الزراعة

باب الصناعة

٤٦ في الصناعة
٤٩ في أهم الصناعات
٥٣ العمل والعمال
٥٧ الصناعة بالعلم

باب التجارة

٦٢ في التجارة
٦٦ ليست التجارة عيباً
٧٠ اجماليات في التجارة
٧٥ مم يربحون
٨٠ مم يربحون. كلمة ثانية
٨٥ مم يربحون. كلمة ثالثة
٨٨ كلمة ختامية في التجارة

اخوان الوطن

هذا كتاب الفه أخوكم هذا وهو يعتقد انه مفيد لكم لانه يشتمل على أهم أسرار النجاح في احراز الثروة وهي كما تعلمون ركن عظيم من أركان السعادة التي يسعى اليها كل ذي نفس عالية تطمح الى معالي الامور وتطرح سفاسفها ، وقد نبهت فيه الى مصادر الربح وطرق السعي للحصول عليه من الوجوه الشريفة وشرحت العلل والعقبات التي تعترض دون الوصول الى استثمار المال وازالة هذه العلل وتذليل تلك العقبات وبيان ما ينشأ عن عادات المصريين وأخلاقهم من افساد المشروعات واحباط المساعي وأنتم تعلمون ان خيرما ينتظر من المؤلفات التي هي من هذا القبيل ان تكون مطبقة على عادات أهل البلاد وأخلاقهم فاليكم هذه الهدية وتفضلوا على صاحبها بان تقرأوا ما كتب لا لتقولوا انه قد الف فأفاد أو كتب فأجاد بل لتتعاونوا على السعي في سبيل الفلاح بالوقوف على أسرار النجاح فهذا غاية ما ينتظره منكم

خادمكم

ابراهيم رمزي

المقدمة

انفع النصائح

ان الامم البالغة من المدنية شأواً كبيراً والحاصلة من السعادة على درجة عظيمة ترى نفسها في حاجة الى النصح والارشاد فلا يقع نظرك على جريدة من جرائدها الا وترى أعمدتها مفعمة باثبات ما ينقصها من المصالح فتقرأ عن كتابها وخطبائها من ساسة وعلماء انهم ينصحون ويعظون ويندون ويعنفون ويحثون وينتقدون ويقولون بانهم ان لم تتم لهم آمالهم التي ينشدونها ويشيرون بها على اخوانهم فانهم لا يأمنون عثرات الحظ وسوء المصير ووخامة العاقبة فيخال لك ايها القارئ ان تلك الامم قد اوشكت ان تسقط من اوج السعادة التي كنت تخيلها لها الى حضيض الشقاء فترثي لحالها وتتمنى من صميم فؤادك ان كنت من الرحماء ان لو تمت لها هذه الاماني وحصلت عندها تلك الآمال

على انك لو تأملت ملياً في أحوال تلك الامم لوجدت لها في العلوم والمعارف والآداب والاخلاق والصناعة والزراعة والتجارة القدح المعلى بل لوجدتها محسودة من الامم التي لم تبلغ درجتها ولم تحصل على حالة من احوال سعادتها

فاذا كانت أمثال هذه الامم في حاجة الى من ينصح لها من ابنائها وقد بلغت من حسن الحظ ووفور السعادة ما ذكرناه فكيف لا يحتاج المصريون الى من ينصح لهم ويحثهم على التقليد لتستقيم مصالحهم

نعم هم أحوج الى المرشدين الناصحين وهذا الاجنبي قد تغلغل في مصالحهم ومرافقهم واوشك ان يستقل بها لولا بقية من الامل تدفعنا الى حسن الظن بالمستقبل اذا اجهدنا انفسنا وعملنا بارشاد المرشدين ونصح الناصحين اللهم اذا كانت تلك النصائح والارشادات مما يعلي الشأن ويرفع القدر ويغني عن الحاجة ويرغد العيش

اني لا انكر على القارئ ان بين المصريين أناساً وضعوا انفسهم في مواضع الوعاظ والناصحين وهم كثيرون بالنسبة الى درجة الامة ولكنهم مختلفون في المشارب والاهواء

هذا بناقوس يدق * ق وذا بمأذنة يصيح
كلٌ يعظم دينه * ياليت شعري ما الصحيح

انهم مختلفون ولا نعيبهم من هذه الوجهة اذا كانت مبادئهم ترمي الى غاية شريفة هي نفع البلاد والمصلحة العامة . غير انه ويا للاسف قل من بينهم من يأبهُ لهذه الغاية

ترى الناصح منا يتشدق بانه انما يخدم المصالح العامة وهو بعيد في الحقيقة عنها بعد المشرق عن المغرب فاذا تفرست في كلامه رأيته مملوأً بالغرض الشخصي محشواً بالغاية الذاتية مطلياً بطلاء من زخرف القول يوهم الساذج البسيط انه نافع مفيد وهو في الحقيقة السم الزعاف

يدعي كثير من الناصحين انه يعمل بغاية ما تصل اليه يد الاستطاعة في خدمة اخوانه المصريين فترى في كتاباته من عناوين الفضيلة ما يشهد له بانه

سلك مسلك ارسطاطاليس واقتفى اثره فيها وحث الناس عليها وترى بجانب هذه العناوين سخافات ليست من الفضيلة في شيء وما هي الا تزلف لحاكم تلتمس منه الفائدة الخاصة أو إيهام لابلهٍ يتمنى من دنياه وساماً أو رتبة يفتخر بها على بُلهٍ من امثاله في قرى مصر وارياقها فهل هذه هي المصلحة العامة واين هي الفضيلة من عمله هذا ؟

فاذا رأيت أحداً من هؤلاء الختلة وقد تحرك حركة أو انتقل من قرية الى أخرى أو ساح من بلد الى بلد أو قابل زيداً أو حادث عمراً أو باحث وزيراً أو جادل نائباً أو ناقش محرراً فلا يغرنك فعله هـذا بأنه يقوم بخدمة البلاد بل ثق بأن خدمته هذه خالصة لوجه منفعته الذاتية بريئة من الفائدة العمومية فان غايتها أخذ اموال كثير من الناس بالباطل . وهل يختلف اثنان في الاقرار بعدم وجود الفرق بين هؤلاء السلابين وبين قطاع الطرق ؟ اللهم الا في الآلة المستعملة لهذه الغاية فقطاع الطرق آلتهم السلاح وهؤلاء سلاحهم أسنة الاقلام وزخرف الكلام

يقوم الناصح منا فينادي الناس بانه قام ليذب عن الاسلام والمسلمين ويحمي الدين وينصر شريعة سيد المرسلين وكل من ذكرهم في الواقع برآء منه لانه انما يعتمد على ما لا يصح الاعتماد عليه ويشتغل بما يعد الاشتغال به وتفضيله على سواه سفهاً لانه يملأ كلامه بالانتصار للاسلام في جاوا ، واخبار مسلمي الصين، وماذا تفعل فرنسا في تونس مع المسلمين، وكذلك ماذا تفعل انكلترا معهم في الهند ، الى غير ذلك من المباحث السياسية التي ان لم يرم قائلها بتلك

الغاية السافلة وهي جرّ المنفعة لنفسه بهذا الايهام رمى بالجهل المركب ٠ وانت تعلم ايها القارئ من هي الامة التي يليق بها ان تخص هذه المباحث بالعناية، وهل تقاس مصر بالدولة العثمانية في هذا الشأن ، وهل لمصر كلمة في السياسة، وهل لها رأي يعتد به بين الدول، وهل هي حقيقة بلاد اسلامية مستقلة حتى تقصر جل مباحثها على الاسلام في العالم ؟

نعم أن دعوى الدين هي السائدة في الشرق فكل من لصق نفسه بها لفت اليه انظار العامة وجذب قلوب الخاصة ولكن الا يتقي الله هؤلاء الناصحون فيحثوا الناس على مصالحهم المادية التي تقوّم الدنيا والدين معاً

فما لنا نملأ نصائحنا بمواضيع التقوى والصلاح والزهد في حطام الدنيا وندعو الى الاتحاد والارتباط والتحلي بالفضيلة ونحث على ترقية العواطف قبل ان نرشد الناس الى طرق السعي فيما تقوم به حياتهم من الربح والثروة والغنى من كل الطرق المحلله وهل هذه أولى بان نحث الناس عليها أم تلك ؟

ان البلاد في حالة يجب فيها على مرشديها ان يتركوا الادبيات جانباً ويقصروا هممهم على اصلاح احوالها من جهة الماديات فيشرحوا للامة اسباب السعادة ويوضحوا لها اسرار النجاح حتى اذا قويت شوكتهم افراداً كانوا اقدر على تهذيب نفوسهم وتحليهم بحلى الفضيلة مما اذا كانوا ضعافاً في المادة صفر الجيوب

يدفعنا الى هذا القول توغل الاجنبي في الاختصاص بمصالحنا المالية على اختلافها وخوفنا من تضعضع الوطني امامه خشية ان نضيع اوقاتنا في

التحلي بحلى الفضيلة والمجادلة في اوجه تعليمها فينتهز الاجنبي هذه الفرصة فيغلبنا على امرنا ويستقل بخيرات البلاد فنصبح مهذبين افاضل مكملين اماثل ذوي عفة وزهد وحب في توسيع الجامعة وتقوية الاتحاد ولو مع الفقر والمسكنة، ويصبح الاجانب وقد وضعوا ايديهم على مرافق البلاد وان لم يتحلوا بفضائلنا وتركونا خدماً عندهم وعبيداً في اعمالهم! وهل الوطني اقدر من الاجنبي على التحلي بالفضائل مع احراز الثروة والاختصاص بالخيرات، وما ادراك لو فاز الاجنبي بالصفقتين الرابحتين، وعاد الفقر علينا بالخسران فابعدنا عن الفضيلة وحرمنا من المزيتين؟

وخلاصة القول من ذلك انه يجب على الناصحين منا ان يجعلوا همهم حث الامة على العمل بالنافع والاشتغال بالربح المادي الذي يرفع شأن الامم وهاهي الامثال أمام أعيننا فاننا لا نرى امة قد نجحت الا وكان اعتمادها علي الاعمال المادية التي تعزز الجانب وتقوي الدين والدنيا والسلام

الاعتماد على النفس

جلدك وظفرك .

إذا أراد المصريون ان يكون لهم في هذا العالم شأن جديد يعيد لهم ماضي المجد وسالف الشرف بما تقتضيه الظروف الحاضرة فليعملوا بتلك النصيحة التي لا تعاد لها نصيحة ولا تقوم مقامها موعظة الا وهي قولهم انما رجل الدنيا

وواحدها - من لا يعول في الدنيا على رجل . وليأخذوا بذلك القول المأثور « ما حك جلدك مثل ظفرك »

واني لتعتريني الدهشة والاستغراب وانا قابض على هذا القلم احرر هذه المقالة حينما اتصور أمراً غريباً كاد يقوم بعقول المصريين فلا تجد واحداً منهم الا وقد ساوره الهم والغم من خياله، وانه لامر ينقبض له القلب وتجمد عنده الهمة وتخبو منه نار القريحة ،حتى انني لأ كاد اعجب من نفسي كيف لا يفلت القلم من يدي ولا تسكن فكرتي بل كيف تجود قريحتي بحرف يكتب او كلمة تقال في موضوع النجاح وانا واحد من الامة المصرية التي استولى على عقول السواد الاعظم منها ذلك الامر الذي اشرنا اليه وما هو الا اليأس من النجاح في الحصول على درجة محمودة من المدنية التي بدأنا بها حينا ثم سبقنا غيرنا اليها اخيراً !

قف معي أيها القارىء قليلا أو سر معي سيراً جميلا واجعل رائدك التجربة وقائدك العقل وانظر في هذا اليأس وهل لاخوانك المصريين حق في التشبث به ام هم مخطئون ولكن لا يشعرون ؟ ولعلك تقول ليس اليأس من الموضوع الذي جعلته عنوان مقالك في هذه الفقرة وهو الاعتماد على النفس فاجيبك انني اراني عاجزاً عن شرح فائدة الاعتماد على النفس مادمت متخيلا عدم تزحزح المصريين عن الاخذ بناصر هذا اليأس الذي ما استولى على حي الا والحقه بالجمادات التي لا تشعر بما جريات الكون فكيف يجوز لي بعد ذلك ان اجرأ على شرح احوال الاحياء للاموات . ولهذا وجدت نفسي

مضطراً الان ابدأ بالبحث في مسئلة اليأس حتى اذا خرجت منها ظافراً على اخواني المصريين دخلت معهم في الموضوع الاصلي وهو اعتماد الانسان على نفسه وتعويله على شخصه وهاك هو :

ان الحجر الذي تراه ملقى في اسفل الاماكن واقذرها لا يستحيل عليه ان يكون يوماً ما فوق شرفات قصور القياصرة والاكاسرة . وان الحديد الذي يستخرج من اعماق المناجم على بعد المئين من الامتار الى الاسفل لا يستحيل عليه ان يرفعه الناس الى اعلا مكان يضعونه فيه وهذه ثمة برج ايفل في باريس وهيَ من الحديد تقوم شاهداً عدلاً على صدق هذا المقال . وان الماء الذي هو عرضة لتطهير الاقذار على سطح الكرة الارضية ليتطاير بخاراً فيبلغ عنان السماء ثم يعود الى الارض ماء طهوراً سائغاً للشاربين وهذا هو السحاب وبرقه ورعده يقومان مقام الشهادة على صدق ما نقول

واذا كانت هذه الاشياء وهي من الجمادات واماكنها من الضعة ما ذكرناه لا يستحيل عليها ان تصعد رغماً عنها الى اسمى الامكنة واعلى عليين فكيف يستحيل على الانسان المتحرك بالارادة المتفاني في طلب السعادة ان يكون وضيعاً فيرتفع، اوجاهلا فيتعلم، اوخاملا فينشط، اوعبداً فيسود ،متى توفرت فيه شروط العلم،والرفعة ،والنشاط ،والسيادة، وكلها من الممكنات؟ اذاً فلامعنى ولا لزوم لان يقنط المصريون من نجاحهم في المستقبل اذا لم يكونوا ناجحين الآن، وما عليهم الا ان يتبينوا طرق النجاح ويطرقوا ابواب الفلاح ويعملوا كما عمل غيرهم من الامم التي كانت ساكنة فتحركت ليكون حظهم من النجاح

حظ أولئك الناجحين

واول شيء يجب على الكاتب ان ينبه اخاه المصري اليه هو ان يجعل كل اعتماده على نفسه في كل امر يحاول القيام به في ما يعود عليه او على وطنه بالخير والسعادة فان الاعتماد على الغير من صفات العجز ونحن ادرى بان التواكل قد بلغ من المصريين مبلغاً عظيماً وربما كان هذا السبب من اهم اسباب تأخرهم عن غيرهم . فاذا سألت المصري وقلت له لماذا اراك يا اخي غير ناجح في عملك لنفسك او لوطنك قال ماذا افعل وها انت ترى الامة نائمة ساكنة وهؤلاء اخواني في الوطنية لا يعينوني على عمل اذا شرعت فيه ! وهل يصح ان يكون عدم اقبال الامة على عمل من الاعمال لانسان منهم سبباً لان يحجم هذا الانسان عن عمله وينكمش في زاوية بيته او يتمادى في اضاعة وقته الثمين في مسارح اللهو واللعب ؟

وهل من سبب لعدم اعتماد المصري على نفسه ووجود هذا التواكل بين افراد الامة وعدم اقدامهم على الوسائل التي توصلهم الى السعادة ؟ هذا سؤال اذا وجه الي كان جوابي عليه هكذا « ان اهم اسباب التواكل وعدم الاعتماد على النفس هي اعتماد المصريين على القضاء والقدر بصفة لا تنطبق على العقل ، بل قد لا تنطبق على اصول الدين المعتبرة » فالقضاء والقدر علة من اهم العلل في تأخر المصريين وماذا تريد من امة ان تعمل وتعتمد على نفسها في اعمالها ما دامت هذه الامة تعتمد في اعمالها على عاملين قويين قادرين لا تقف دونهما الموانع ولا تعاكس مشروعاتهما صروف الحوادث وظروف

الزمان والمكان وهما القضاء والقدر ؟ نحن نربح ثروتنا بالقضاء والقدر ولو لم نشتغل ؟ . . . ونأكل ونهضم بالقضاء والقدر ولو لم نضع اللقمة في فمنا ونمضغها ! ونلبس الثياب بالقضاء والقدر ولو لم نساوم أربابها في ثمنها ولو لم نفصلها على اجسامنا ؟ وان المسلم العاقل ليضحك من هذه الاقوال ومن سخافة الاعتقاد بها والصاقها باحسن دين يحث على السعي والاجتهاد ويقول رسوله الكريم من حديث اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً

هل يمكننا ان نعتقد في القضاء والقدر اكثر من ان الله قادر على كل شيء وهو الذي يقضي بكل شيء ؟ فاذا اعتقدنا هذا فهل يمكننا الاعتماد على ذلك في كل اعمالنا دون النظر في ما قاله ذلك الاله القادر من الحث على السعي والاجتهاد والاعتماد على النفس . جاء في القرآن قوله تعالى امشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ـ فعندنا الآن مسئلتان مسئلة يجب علينا ان نعتقدها فقط وهي قدرة الله وقضاؤه ومسئلة يجب علينا ان نعتقدها ونعمل بها وهي ان نعتمد على انفسنا في كل ما نريد عمله . هذا هو رأي الفريق العاقل من المسلمين واحسن واسطة تفك قيودنا وتفسح لنا مجال الرقي الى درجات العلى هي ان ندع الاعتقادات بحذافيرها لقلوبنا فنخصها بالدين ونعبد الله كما تريد الاديان كل بحسب مذهبه وان نشتغل للدنيا بعقولنا فنطلق سراحها ونفك قيودها التي رسفت فيها مئات السنين وجعلتنا كما ترانا الآن ولا اقول نعم ما ترى !

اذا تقرر ما قلناه وجب علينا ان ننفض يدنا من الاعتماد على الغير وان لا نعول الا على انفسنا وعندنا امثلة يمكننا ان نطرح منها ذلك المثال السياسي

الذي دوخنا منذ حلول هذا الاحتلال وهو اعتمادنا نحن المصريين على الدولة الفرنساوية التي ما زال رجالها يغررون بنا ويسمعوننا من الاقوال ما يكبر الآمال في انهم سيضطرون دولة بريطانيا العظمى الى الجلاء عن بلادنا ، ولو تصورنا نحن منذ اول الاحتلال اننا غير اكفاء لحكم انفسنا وحياطة استقلالنا لما سرنا وراء هؤلاء المهولين الذين كان آخر شوطهم فشلهم في مسئلة فاشودة وانتهت آمالنا الكاذبة فيهم بحادثة ومحادثة كتشنر مع مرشان

والخلاصة مما قدمناه انه يجب علينا ان لا نتواكل بل نعتمد على الاسباب التي انجحت غيرنا فنعمل بها اذا اردنا النجاح

الوقت ثمين

من أضاع الفرص أعان الغصص

خلق الانسان فقيراً فهو لا يملك شيئاً ولا يحرز ثروة الا بجده وعمله فالعمل لازم له اذا اراد ان يكون ذا ثروة تمكنه من قضاء آماله في هذه الحياة حتى انك لو فرضت انساناً لم يقم بعمل يحصل به ثروة بل فرضت ان ثروته قد اتته من طريق الارث عن والديه فان ذلك الانسان لا يزال محتاجاً في حياطة ثروته الى العمل الذي ان لم ينمها حفظها من الضياع

واذا تقرر ان العمل لازم للحصول على أسباب السعادة من ثروة وشهرة وعلم وما أشبه ذلك وتقرر ان عقل الانسان وقواه لا تمكنه من القيام باعمال متعددة في آن واحد كأن يكون صانعاً يشتغل بصناعته في حانوته وان يكون في الوقت عينه زارعاً يفلح الارض في مزرعته علمنا من ذلك ان لا بد لكل

عمل من وقت يستغرقه وان لا بد لكل جزء من العمل من مدة محددة تشغل العامل فيها عن غير هذا الجزء وعلمنا أيضاً أن لا بد من ان نملأ الزمن الذي خصصناه للعمل باعمالنا التي نسعى وراء الحصول على نتائجها فبقدر ما نشغل اوقاتنا المذكورة بالاعمال بقدر ما نحصل من النتائج. ولكي نضرب لك مثلا تشعر به لاول نظرة نقول ان البنّاء اذا اشتغل في بناء منزل باجر يتقاضاه عن اليوم الواحد كان عمله اقل مما اذا كان اجره مقدراً بحسب عمله اي بقدر ما يبني من الامتار المكعبة وما ذلك الا لرغبته في زيادة الربح وهو بهذه الحالة اذا بنى اربعة امتار في اليوم وكان اجره مقدراً على مقياس عمله فانه لا يبني الا ثلاثة امتار في اليوم اذا كان اجره باليوم وهو في كلا الحالين يشغل اليوم عاملا . فلسائل ان يسأل لماذا يعمل هذا البناء بالاجر اليومي اقل مما يعمل بالاجر القياسي والجواب على ذلك انه اذا اشتغل باجر يومي تكاسل واهمل ولم يشغل تمام اوقاته عاملا لان ربحه قد تحدد باليوم فهو لا يهمه ان يعطي العمل حقه وذلك بعكس ما اذا كان اجره مقدراً بحسب عمله فانه بقدر ما يعمل كذلك يربح

ولكنني الفت نظرك ايها القارئ الى عاداتنا نحن المصريين وأسألك هل هي مما يمكننا من الحصول على تلك النتائج المطلوبة ؟ واني أجيب عنك بان اوقاتنا ذاهبة سدى واننا لممن يركنون الى التسويف ويعتمدون على المستقبل ولا يحسبون للوقت حساباً ولذلك لم تكن نتيجة اعمالنا كما يجب ان تكون

وقد يظن الانسان بالنظر البسيط انه قد يقوم بعمله في وقت قصيراً قصر

مما يتصوره الناس وهذا عيب من العيوب يتطرق الى الفكر من الثقة بالنفس حتى اني لو كان من الواجب عليّ ان اكتب فصلاً في جريدة وكان هذا الفصل يقتضي ان اتفرغ له ساعتين من الزمن فان نفسي لتحدثني بانني لو ضاعت مني الساعة الاولى لقمت بعملي هذا في الثانية . على اننا لو فرضنا انني اهل لان اقوم بهذا العمل في ساعة لكان لي عيب عدم اتقانه لان فسحة الزمن تمكن من الاتقان واتقان العمل مرغب فيه وهو خير من زيادة السرعة بلا اتقان . والعمل الكثير في الوقت القصير يستدعي ان تتزاحم اجزاء العمل على جزء يسير من الوقت والانسان مضطر الى اتمام العمل فلا بد له من القيام به على اي صورة فيخرج العمل غير مهذب ولا تام كما يجب ان يكون . ولو فرضنا أيضاً انه اتم عمله في الوقت القصير كاللازم ولم يكن فيه عيب لكان انفاقه من جهده كثيراً فيلحق الانسان بعد اتمام العمل كلل في القوى واذا تكرر هذا الكلال أضر بالصحة وعاق عن الاستمرار فما لي وما لهذا التوانى الذي ان لم يضر بعملي فيذهب بنتيجته ويحرمني منها اضر بصحتي وهي عندي اثمن من كل شيء ؟

انظر الى الناس على اختلاف اعمالهم وصناعاتهم وحرفهم تجد كل واحد منهم (اللهم الا العقلاء المنصفين) ساخطاً من عمله . يقول انه شاق جداً انه متعب ، يقول النجار ان الفلاح في راحة بال ونعيم حال لانه يزرع الزرع ثم ينتظر الطبيعة التي تنضجه له فاذا نضج فلا يكون عليه من العمل الا حصده ثم انه يجد من اوقات الراحة ما لا اجده انا في النجارة فانني متعب لا بد لي

من العمل يومياً ولا راحة لي الا في الليل وهذا غير كاف لان استريح ! ويقول الزارع ان النجار لفي نعيم وانني لفي شقاء مستديم فهو وان اشتغل بنجارته فان له سقفاً يظله ومكاناً يقله وعمله محصور في ذلك المكان وهو اذا عمل فان نتيجة عمله ظاهرة فبقدر ما يعمل بقدر ما يربح اما انا في الزراعة فانني مضطر لان احرث الارض تحت حرارة الشمس او زمهرير البرد وانني ابيت في مزرعتي احرسها والارض وطائي والسماء غطائي فانا عرضة لتغيرات الجوّ التي تؤلمني وفضلا عن كل هذا الجهد فانني لا اعلم نتيجة عملي فقد يضيع املي اذا خابت زراعتي ، وهكذا يرى كل صاحب حرفة وصناعة ان حرفته اصعب من حرفة غيره او صناعته ، حتى ان الكاتب العالم ليحسد العامل في صناعته لانه يعتقد ان العمل بالجسم اهون من العمل بالفكر فكل من قام بنفسه هذا التصور تطرقت الحيرة وعدم الثبات الى عمله والتباطؤ في القيام به فيخسر من ربحه بقدر ما يخسر من وقته ، وهذا عيب في العادات والاخلاق يمحوه الثبات والتصميم واستسهال العمل ولو كان شاقاً لان العادة تمنع المشقة .

لاستسهلن الصعب او ادرك المنى * فما انقادت الآمال الا لصابر

ولست أجد سبيلاً الى تمثيل ما أقصده من اثبات ان الوقت ثمين وان الفرصة يجب ان تنتهز وان اضاعتها تعقب الخسارة والندم أقرب من الاسطورة الآتية وهي

زعموا ان أرنباً تراهن مع سلحفاة على ان يقطعا مسافة من مكانهما الى أعلى الجبل ، فاما السلحفاة فنظراً لما تعهد في نفسها من قصر الخطا وضعف

القوة فقد دأبت على السير الى ان بلغت تلك القمة . وأما الارنب فقد اعتمد على وثباته وقوته ونشاطه وقال مالي وللسرعة وانني اني قليل من الخطا الحق بالسلحفاة وأسبقها واكسب الرهان ثم تغافل عن الامر هنيهة فأخذه النعاس فنام قليلاً وما استيقظ حتى رأى السلحفاة وقد قطعت المسافة فندم على اهماله وضياع فرصته وفازت هي بالسبق في الحلبة

فما أشبه الرجل المتواني في عمله والمضيع لاوقاته بالارنب وما أشبه منتهز الفرص والمجدّ في عمله بالسلحفاة

وان كل ما قلناه لمنطبق على الرجل الذي يؤخر عمل وقته الى وقت آخر او يتراخى في القيام به ولكن من المصريين من لا تجدهم يعملون عملاً نافعاً فهم يقضون اوقاتهم في ما لا يفيد وعندي ان أشبه شيء بهؤلاء البطالين الذين يرزقون من عمل غيرهم هذه البعوض والبراغيث والبق وكل الحشرات والدواب التي تغتذي من دم الانسان غذاء مهضوماً صالحاً لتقويم الحياة ولا تبحث لنفسها عن رزق

فتشبه أيها المصري بالسلحفاة تثرِ بعد الفقر وتحيَ بعد العدمْ . واياك والتشبه بالارنب فتندم حيث لا ينفع الندم

مصادر الثروة

من الناس من يأخذ الحكم والامثال التي جرت على السنة المتقدمين من ذوي العقول الراجحة والاحلام الصادقة على ظاهرها ويغفل ما قصده اولئك

العقلاء فتراه يعتمد في احواله على مثل قول بعضهم « القناعة كنز لا يفنى» ويفسره بان الانسان انما خلق ليرتاح من المتاعب وليرضى بما قسم الله له من الحظ وانه لن ينال اكثر مما قدر له في السماء ووعد به من خالق الزرقاء والغبراء وان سعيه وراء الربح وتتبعه أثر الثروة من الاخلاق الممقوتة التي يوصف صاحبها بالطمع والجشع وان من أشرف الخلال وأجمل الخصال إن يزهد في حطام الدنيا لانه ظل زائل وعرض حائل وان من تظهر عليه علامات الجد والاجتهاد ويعتمد في كل اموره على العمل وتحصيل الغنى لهو ممن قل توكلهم على الله فأصبحوا من الاخسرين اعمالا

على انه يكفي لفساد هذا الزعم وابطال هذا القول السخيف ان نقول بان الانسان لا يتمكن من قوته الضروري الا بسعيه واجهاد قواه او بما ادخر له من سعي غيره فهو على كل حال محتاج الى السعي وانا لو فرضنا امة من الامم عملت بالوصية الاولى والنصيحة السابقة من الزهد والقناعة وظل افرادها متمسكين بهاتين الصفتين فمن البديهي انه لا يمضي عليها بضع سنين حتى تصبح ضعيفة مستسلمة لغيرها غير قادرة على صد هجمات اعدائها وانها بعد ذلك لا يكون نصيبها غير الاضمحلال والتلاشي فتصبح كأن لم تغن بالامس

قل لي أيها القنوع بما قسم الله لك ماذا كان يضرك لو عملت وربحت ثم وجهت ربحك الى فعل الخير والقيام بما ترى أمتك وملتك محتاجة اليه من الاصلاحات حيث تكون قد قمت بواجب عليك لتلك الامة التي لا تعتمد الا على أمثالك لانها مكونة من افراد انت منهم فان سعدوا سعدت

وان افتقروا افتقرت

اذا علمنا مما تقدم أنه لابد لكل انسان يشعر بأنه من أمة لها عليه واجبات وحقوق في رفع شأنها وترقية حالتها من ان يعمل جهده لترقية أحواله التي منها ومن امثالها تترقى أحوال الامة علمنا ان سعيه وراء تحصيل الثروة من أشرف الصفات التي يمدح عليها الرجال

وحيث ان السعي واجب علينا خصوصاً في مثل هذه البلاد التي وهبها الله الحرية في القول والعمل بهمة رجال الاصلاح بعد ان خرجت من ظلمات الظلم والاستبداد فمن الفروض التي يجب علينا ان نجعلها نصب أعيننا البحث في مصادر الثروة وان يرشد اليقظ منا الغافل الى طريق النجاح اذا صدّقنا ذلك الحديث المأثور عن النبي وهو قوله « الدين النصيحة » وان نتكاتف على العمل فيسعى كل بما يرى نفسه مستعدة له من الاعمال بكامل الحرية وتمام الاستقلال

ونحن اذا بحثنا عن مصادر الثروة وجدناها تنحصر في ثلاثة

أولاً القوى الطبيعية والمادة

ثانياً العمل

ثالثاً التدبير

والبحث في هذه المسائل الثلاث يستدعي ان نلم باطراف العلوم والصناعات وفي مقدمتها علم الاقتصاد السياسي الذي يشرحها ويبين نتائجها وذلك يخرج بنا الى التطويل فنقتصر على اثبات مجمل الغرض من هذه المصادر لننبه اخواننا

الى السير في العمل لتحصيل الثروة معتمدين على خلاصة افكارنا في تلك العلوم بقدر ما تصل اليه مدارك رجل يحب ان يرى اخوانه آخذين فيما يرفع شأن وطنهم المحبوب فنقول

ان المادة هي المصدر الحقيقي للثروة وأما القوى الطبيعية فهي عبارة عن آلات لتكييف هذه المادة وتشكيلها بحسب رغائب الناس وحاجاتهم ولنضرب لك مثلا يقرب المسئلة من فهم القارئ فنقول : ان الانسان محتاج الى الغذاء وابسطه الخبز فلاجل ان نحصل على هـذا الخبز يلزمنا ان نطحن الحنطة في الطواحين ومنها ما يدور بواسطة التيارات الهوائية ومنها ما يدور بقوة تيار الماء فاذا طحنا الحنطة في هذه الطواحين فاننا نكون قد غيرنا شكلها من حب الى دقيق لتصير صالحة لان يصنع منها الخبز فنحن في حاجة الى تغيير شكل حب الحنطة الى دقيق والحنطة والدقيق من المادة . أما القوة التي بها حولنا شكل المادة فهي تيار الهواء والماء فهذان التياران في هذا المثل هما عبارة عن آلتين لتكييف شكل شيئ من المادة نحتاج اليه

هذا هو ما يختص بالمصدر الاول للثروة وهو المادة والقوى الطبيعية أما العمل فهو الذي لايتم بدونه تكييف المادة وتشبيهه قريب في المثل السابق فاننا اذا نظرنا الى ما نريده لنسد به حاجتنا من الغذاء وهو تكييف الحنطة لتصير دقيقاً صالحاً لعمل الخبز فاننا نجد الحنطة موجودة وتيارات الهواء والماء موجودة ولكن الجمع بينهما يقتضي ان نأخذ الحنطة ونضعها في الطاحون بالصفة التي نعرفها ولولا افعالنا هـذه لماصارت الحنطة دقيقاً فقيامنا

بأخذ الحنطة ووضعها بين حجري الطاحون هو العمل الذي بدونه لا نحصل على النتيجة المطلوبة فالعمل اذاً من مصادر الثروة لانه هوالواسطة بين القوة والمادة في استخدام الاولى لتكييف وتشكيل الثانية

وأما المصدر الثالث فهو ركن عظيم من اركان الثروة لا يتم تحصيلها الا بتوفره وهو العقل المدبر الذي يضع الاشياء في مواضعها ولا يجعل الانسان يقوم الا بالعمل الذي ينتج الثروة ويمكننا ان نضرب له مثلا يقربه من فهم القارئ فنقول : ان المدن اذا اتسعت بناياتها كانت مضطرة الى من يحمل الى سكانها الماء واذا زاد اتساعها احتاجت الى الآلات التي ترفع اليها الماء في انابيب لسهولة نقلها كما تعطي شركة مياه القاهرة الماء الى سكانها فالماء هو المادة التي يريد سكان المدن الحصول عليها ، ونقله هو العمل للانتفاع به، والذهاب به الى مساكن الناس المحتاجين اليه هو تدبير العقل ، لان الانسان اذا اخذ الماء من النهر او البحر ثم نقله الى الجبل حيث لايحتاج الناس اليه فانه يكون قد أتم عملين هما حصوله على الماء ، وحمله ، ولكنه قد نقصه تدبير العقل الذي بدونه لاتحصل النتيجة من الثروة لانه حينئذ لايكون الماء ذا قيمة لعدم الرغبة فيه في ذلك المكان وكذلك قل في من يأخذ الماء من البحر ثم يصبه في البحر فان عمله لا قيمة له

والخلاصة من موضوعنا هذا هو ان مصادر الثروة ثلاثة المادة المحتاجة في النقل او التكييف الى القوى الطبيعية ، والعمل وهو الواسطة بين المادة وتلك القوى ، والعقل المدبر وهو الذي يجعل الانسان يعمل ماينتج الثروة.

وهذا ما يجب ان نفهمه لتكون اعمالنا ذات نتائج نستفيد منها الثروة المتمناة للافراد ثم للامة لتنهض بعد طول هذا الخمود الذي جعلنا في اخريات الامم

الثبات على العمل

هذا ركن من أركان النجاح لا يفلح كل من حاول القيام بعمل ما إلا اذا وطن نفسه عليه كما ان كل من تمسك به يبعد ان يكون نصيبه الفشل في الحصول على مقاصده ولذلك قالوا

وقل من جدّ في امر يحاوله　　　واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

ولكن الانسان ملول لأنه خلق عجولاً فهو يريد الحصول على نتيجة اعماله في الأقرب العاجل ومعلوم ان لكل عمل عللاً وعوائق وصعوبات فاذا لم تداوَ هذه العلل وتذلل تلك العوائق والصعوبات يبعد ان تكون للعمل نتيجة عاجلة . عرف هذا كل من مارس الاعمال ووقع في صعوباتها فأشار على المبتدئين بالثبات ولكن الاشارة اذا كانت كافية في تلك البلاد الغربية لان اهلها تكفيهم الاشارة فانها غير كافية في بلادنا ولا بد لنا من معاودة هذه الاشارة وتكرارها واستنهاض الهمم اليها

ولكي نضرب لك مثلاً من الامثلة يقرب لك فهم الموضوع نقول لك ايها القارئ أن تُكلِّفَ احدَ العلماء مسحَ حذاء من الاحذية كما يفعل صغار البرابرة فانك تجد ذلك العالم اذا لم يكن مارس هذا العمل بطيء الحركة فيه وقد لا يحسن القيام به فاذا سابق فيه بربرياً صغيراً سبقه ذلك البربري، ثم قل

لي هل توجد حرفة من الحرف او صنعة من الصنائع احقر من مسح الاحذية واسهل منها ؟

فاذا فرضنا ان ذلك العالم احتاج يوماً ما الى ان يحترف بهذه الحرفة فهل يجد له مندوحة عن الثبات في عمله للنظر في علله وتذليل صعوباته . واذا كان هذا الامر يتمشى على اسهل الحرف مأخذاً واقربها متناولاً فكيف بالحرف الصعبة والصناعات الدقيقة والاعمال المتشعبة الفروع المحتاجة الى الدقة في العمل مع طول الوقت وزيادة التروي والتفكر

في اخواننا المصريين عيب الضجر والملل وذلك من اكبر العيوب التي لا مآل لها غير اليأس من النجاح فلابد لهم من تغيير هذا الخلق ولو بشيء من الضغط على حرية النفس وتعويدها الصبر والثبات على تذليل الصعوبات وتحمل المشقات

يدخل احدهم في غمار الاعمال علمية او تجارية او صناعية او زراعية بنشاط يكاد يهد رواسي الجبال حتى اذا صادفته صعوبة او وقفت في طريقه عقبة نكص على عقبيه وسخط على الاعمال وسفه آراء المشتغلين بها والقى المسؤولية على البخت والمصادفات وسوء الحظ والقضاء والقدر وقال ان عدم النجاح مسجل عليَّ في عالم الغيب فلا مفر من فشلي . مع انه لو دام على عمله لظهرت له اوجه الخلل فيه بطول الزمن وحسن الصبر ولو ظهرت له أوجه الخلل لتداركها حيث يكون نصيبه من الصبر والثبات في آخر الامر النجاح والفلاح

هذا مانرى ضرورة التمسك به وانا لانخاطب هؤلاء الشبان الذين اتخذوا البطالة حرفة لهم وثبتوا عليها وبئست الحرفة حرفتهم وبئس الثبات ثباتهم وانما نخاطب أولى العزم من شبابنا الذين لهم من الهمة والنشاط والعقل والروية مايبعث فينا الأمل في حياة مصر المستقبلة وأولئك هم المفلحون

اختيار العمل

ينظر المصري الى غير قومه من الامم البالغة ذرى المجد الواصلة الى عنان الشرف الحاصلة على درجات العلى من المدنيـة فتحدثه نفسه بانه سي الحظ في هذه الحياة لانه لم يخلق فى وسط أولئك الاقوام السعـداء وذلك لانه يرى بلادهم راقية وشعوبهم عاملة فالصناعة عندهم نافقة سوقها والزراعة نامية العلوم رائجة والافراد مشتغلون لاعاطل بينهم تراهم كالآلات لا يكلون من عمل ولا يقفون عند حد في توسيع وتكبير تلك الاعمال . ثم هو يرى على عكس ذلك اخوانه المصريين فاذا سأل عن زراعتهم وجدهاغيربالغة حد الاتقان واذا نظر الى الصناعة لم يجد منها عشر معشارماتحتاج اليه البلاد واذا فكر في التجارة وجد الاجانب قد اختصوا بالجانب الاوفر منها واذا بحث عن العلوم وجدها معطلة واذا التفت الى الافراد الفاهم كسالى لا يهتمون بمصالحهم حيارى لايدرون ماذا يصنعون

فالنظر البسيط الى حال الغربيين وقياسها على احوال الشرقيين يدعو الى اليأس وفتور العزائم ولذلك ترانا لانعمل لمستقبل كأن الاقدار قدسجلت

علينا النحس كما سجلت على اهل اوربا السعد وكأن الخالق القادر الفعال لما يريد قد اطل لنا من السماء وصاح بنا قائلاً : لقد قدرت عليكم ان تكونوا في اخريات الامم فلن تقوم لكم قائمة الى يوم القيامة !!!

على ان ذوي الافكار الثاقبة والاحلام الراجحة يرون هذا النشاط الحاصل من الغربيين لازماً لحياتهم لانهم كلهم نشطون قد نشأوا على العمل فلا بد لهم من السهر واستمرار النشاط في هممهم والا ضاعوا وساءت لكثرة المزاحمين حالهم ، وهكذا الحال في كل بلد كل اهله من ذوي النشاط والقدرة على الاعمال ، وهذه هي العلة الكبيرة لعدم نجاح الشرقي اذا ذهب الى الغرب ليشتغل في عمل ما ، بل هي العلة التي تدفع بالغربي الى الاغتراب عن وطنه ومفارقة اهله وعشيرته والوفود الى الشرق والسبب ظاهر في كلا الامرين فالغرب مزدحم بافراد لا قبل للشرقي على مزاحمتهم والشرق مزدحم بافراد لاقبل لهم على القيام باحتياجاتهم

والغربي يحتاج في بلاده الى فكر عال وهمة ثابتة وقدرة ومهارة فائقتين في العمل اذا اراد ان يزاحم بني جلدته أما الشرقي فليس في حاجة الى مثل هذه الاحوال لان بلاده خلو من المزاحمين فاقل همة واصغر عناية واقصر نظر في الامور تكفيه لان يعمل ويحصل من عمله على نتيجة حسنة هي ضمانة مستقبله ، والامثال على ذلك كثيرة لا نرانا في حاجة الى ايرادها ويكفي ان نقول ان الاجنبي الذي تنبذه بلاده وتقصيه لضيق أحوالها وأعمالها على مثله لا تستقر به الحال في مصر حتى تتفتح امامه ابواب الرزق فيجد الاعمال على اختلافها

صالحة لان تجعله سعيداً

فاذا عرفنا ما تقدم ظهر لنا ان العمل للارتزاق وانماء الثروة في مصر متيسر للوطني والاجنبي ولكن الناجح فيه الاجنبي لانه اقدر من الوطني عليه ، وانه يجب على الوطني ان يختار مايختار من الاعمال وانه متى عمل كما يعمل الغربيون المزاحمون لنا نجح بل ان نجاحه هنا مرجح عن نجاح الاوروبي في بلاده

ونحن وان كنا نعتقد كثرة انواع الاعمال في مصر وكونها ميسورة لكل طالب الا اننا نقول بفائدة اختيار انجحها ولا يتبادر الى ذهن القارئ النبيه اننا نقصد بالانجح تلك الوظائف الاميرية فاننا لا يمكننا بوجه من الوجوه ان نعتبرها حرفة من الحرف اللهم الا اذا كانت مختصة بصناعة ما واما بقية المناصب الكتابية او الادارية فوان كانت مما قد يجعل للانسان حظاً سعيداً الا انها في الغالب ليست الا وظيفة تنفع فيها المحسوبية اكثر من الجدارة والكفاءة على ان الموظف اذا كان كاتباً فهو انما يعتبر صاحب حرفة مادام في الحكومة لانه يتناول على عمله أجراً واما اذا فارق تلك الوظيفة وخرج من بين عمال الحكومة فانك تجده أسوأ حالاً من النجار والحداد على انه وهو شاغل وظيفته يخال له انه من الطبقات العالية في الامة وان الحداد والنجار من الطبقات السافلة وكذلك قل عن المعاون ومأمور المركز الخ ، فضلاً عن ان خدمة الحكومة باي وظيفة كانت تحتاج لان يكون الشخص صغير الهمة قادراً على التملق والتزلف وهذه الخلق مما يأباه كل عالي النفس شريفها وقل من يبلغ

درجات العلى في تلك الوظائف من ذوي الهمم الشماء والنفوس الابية

فلا بد لنا اذاً من القول بان طاب التوظف بالوظائف الاميرية من احقر المطالب ومن اسفل الغايات

وانه يجدر بمن تترفع نفوسهم عن قبول الذل والخضوع ان يختاروا غير هذه الوظائف

وهذه الصناعات والحرف كثيرة لايعدم الانسان منها حرفة يشتغل بها وأحسن هذه الحرف والصناعات ما وافقت ذوق الانسان ووجد من نفسه ارتياحاً اليها فقد وجد الباحثون في اخلاق الناس أن الصناعة أو العلم الذي يميل اليه الانسان بطبيعته يكون نجاحه فيه أسرع مما لا يميل اليه بطبعه ولذلك فقد أشار كبار العقلاء بان يعلم التلامذة التعليم الابتدائي اجباريا ثم تترك لهم الحرية في اختيار العلوم العالية التي يتلقونها بعد ذلك لانهم رأوا هذه الطريقة أنجح نتيجة وأحسن مستقبلا فعلى من يريد العمل أن يختار ما يميل اليه بطبيعته ولكن لنا عليه تلك النصيحة وهي أن لا يجعل خدمة الحكومة بين مطالبه والله ولي التوفيق

اهم الاعمال الصناعة

(رأي مخالف للآراء)

سبق لنا القول بان مصادر الثروة تنحصر في ثلاثة اشياء وهي

اولاً القوى الطبيعية والمادة

ثانياً العمل

ثالثاً تدبير العمل بواسطة العقل

وقد شرحنا ايضاً كيف ان الانسان يحصل على الثروة بسبب هذه الاشياء الثلاثة وقلنا انه يجب على الانسان ان يختار العمل الذي يميل طبعه اليه لان نتيجة قيامه به تكون انجح من نتيجة قيامه بغيره من الاعمال وبناء على ذلك نرى انه يتبادر الى ذهن القارئ ان كل الاعمال سواء وان ارجحها ما مال اليه الانسان بطبعه وهذه هي الحقيقة اذا اردنا ما ينجح فيه الانسان بالنسبة لشخصه واما اذا كنا نريد الايضاح عن الاعمال التي تفضل غيرها بالنظر الى الامة فاننا يمكننا ان نعينها بالذات ولذلك انشأنا هذه المقالة لنبين فيها رأينا في هذا الموضوع لانه ربما كان مخالفاً لجميع الآراء

يقول كل الباحثين في مصلحة مصر والمصريين ان هذه البلاد زراعية محضة وانها لن تكون صناعية ونحن نخالف هذه الاقوال ونقيم على ذلك البراهين القاطعة ولكن يلزمنا قبل ان نقيم براهيننا ان نعرف ماذا قال الباحثون في اثبات دعواهم حتى اذا رأينا براهينهم ثابتة رجعنا نحن عن دعوانا والا فنكون ملزمين بنقض تلك الاقوال وتفنيد تلك البراهين وعلى ذلك نقول

يرتكن هؤلاء الباحثون في اقوالهم على ثلاثة براهين هي

أولا كون ارض مصر صالحة للزراعة

ثانياً عدم وجود مادة الصناعة فيها وهي مناجم الحديد وغيره من المعادن

ثالثاً عدم وجود الفحم الذي يعين على الصناعة

اما كون ارض مصر صالحة للزراعة فهذا وأن كان دليلا على ان البلاد زراعية الا انه لا يقوم دليلا على انها لن تكون صناعية وذلك بدليل ان نفس الزراعة محتاجة فى اتقانها والانتفاع بها الى الصناعة

نعم اننا كنا نوافق القائلين بان البلاد زراعية ونحث الاهالي معهم على التشبث بالزراعة وترك الصناعة جانباً اذا كانت أرض مصر بائرة لا تزرع لانه حينئذ يكون للقول فائدة اذ أقرب الاعمال التي ينجح فيها الانسان هي الاعمال الزراعية التي لا تكلفه عناء كبيراً ولا تستدعي معارف سامية ولا علوماً كثيرة فلا شيء اسهل من ان يبذر الانسان الحب في الارض ويصب عليه الماء ليثبت نباته ولكننا نرى وادي النيل مزروعا وهذه الحكومة لا تألوا جهداً في تحسين الري وهؤلاء الاهالي وقد اتقنوا الزراعة الى درجة لا بأس بها ولم يبق عليهم الا ان يتفننوا فيها وهذه الجمعية الزراعية تنشر ارشاداتها للفلاحين وتقيم المعارض للمسابقة في اتقان الزراعة واثباتها الفائدة من تسميد الارض بالسمادات المختلفة وطرق الحرث والحصاد والبذار وغير ذلك فالبلاد من جهة الزراعة وان كانت محتاجة على الدوام الى العناية بها والتشبث بما يرقيها الا انها في درجة تغبط عليها اذا قارناها بدرجتها في الصناعة ، فلا بد لنا اذا من التفكر والاهتمام بالصناعة

واما الامر الثاني وهو عدم وجود مناجم الحديد وغيره من المعادن في مصر فهذا لا يمنع من ان تكون مصر صناعية لان جلب الحديد وغيره من المعادن وتشغيله هنا ينتج ارباحاً طائلة تتقاضاها اوروبا من ثروة اهالي

بلادنا - ولكي نضرب لك مثلا شاهداً على دعوانا نقول ان هذه الآلات التي تباع في اسواقنا مجلوبة من الخارج تباع هنا باغلى الاثمان بحيث اننا لو حسبنا ثمن المادة المعدنية فيها لرأيناها تساوي عشر ثمنها او عشر معشار ثمنها في كثير من الآلات

خذ آلة من آلات الخياطة والتطريز من معمل سنجر الذي يعرض آلاته في المعرض الزراعي ولنفرض انها رخيصة الثمن بحيث تساوي الآلة منها جنيهين مصريين ثم زنها تجد انها لا تزيد عن عشرين رطلا من الحديد فاذا قلنا ان ثمن الحديد فيها عشرون قرشاً صاغاً فتكون قيمة عملها (اجرة الايدي التي عملتها)ماية وثمانين قرشاً وهذا هو القدر الذي يربحه المصري من عمل آلة من آلات التطريز المذكورة على فرض انه يجلب مادتها الحديدية من الخارج وعلى ذلك يمكننا ان نقيس بقية الآلات والادوات التي تستنفد من المصريين مئات الالوف من الجنيهات سنوياً ومن هذا نعرف ان عدم وجود المعادن في مصر لا يمنعها من ان تكون بلاداً صناعية

بقي علينا ان ننظر في البرهان الثالث وهو عدم وجود الفحم في مصر واحتياجها الى جلبه من الخارج فانهم يقولون انه يستنفد الربح الذي ينتظر من الصناعة على ان قولهم هذا منقوض بدليل ان آلة التطريز التي ضربنا بها المثل لا تستنفد من الفحم اذا شغلت مع الوف غيرها من الآلات في معمل كبير اكثر من قنطار الى قنطارين من الفحم الحجري واذا فرضنا الحد الاكبر وهو قنطاران اي ما يساوي ثمنه عشرين قرشا على الاكثر يمكننا القول بان الآلة

المذكورة تكلفنا من النفقة على الفحم اللازم لعملها عشر ثمنها

واذا قلنا ان اجرة الايدي التي تعمل الآلة تساوي ثلاثة اعشار ثمنها وان النفقة على توزيعها في التجارة والاعلان عنها يساوي عشر ثمنها لكان الربح من الآلة الواحدة كما ترى في الحساب الآتي

ص	
٢٠	ثمن الحديد
٢٠	ثمن الفحم
٦٠	اجرة الايدي
٢٠	اعلانات ونشر في الجرائد لترويجها
٢٠	ربح التاجر منها
١٤٠	

فاذا كانت الآلة الواحدة تتكلف لغاية بيعها لمن ينتفع بها ماية واربعين قرشاً وفرضنا اقل ثمن لها وهو جنيهان فان الربح منها لصاحب معملها يكون ستين قرشا اي ثلاثين في الماية وهذا ربح عظيم جداً يمكننا ان نستغله فضلا عن ربحنا من جهة ايجاد اعمال عظيمة تشغل عدداً عظيما من الامة

نعم اننا في بادئ الامر لا يمكننا أن نزاحم اوروبا في كثير من الصنائع التي تحتاج الى دقة في العمل ولكننا الآن يمكننا ان نبحث عن الاعمال التي تمكننا حالتنا من مزاحمة اوروبا فيها ومع توالي الزمن ووجود صناع ماهرين في البلاد نتمكن من مزاحمة اوروبا في كل شيء نحتاج اليه بلادنا من الصناعات

وعندي ان امة في رؤوس رجالها عقل لابد وأن ترى من العار عليها ان تحتاج الى اوروبا في كل ما يلزمها من الصناعات

والخلاصة من هذا كله ان بلاد مصر اهل لان يكون لها مستقبل عظيم في الصناعة فتكون بلاداً صناعية كما كانت بلاداً زراعية متى همّ كبار رجالها بكبير الاعمال . ولكن رأينا هذا لا يمنعنا من الكلام في بعض الاحوال الزراعية التي نرى لزوماً للكلام فيها قبل الكلام على الصناعة

باب الزراعة

في الزراعة

نظرة عامة في قيمة الاراضي

يقولون في الامثال ان الارض تشقى كما يشقى الناس وتسعد وهذه حقيقة تنطبق على الاراضي المصرية فقد كانت منذ قرون مضت مأوى لاولئك الحكام الاشقياء الذين كانوا يسلبون نعمة الحرية من المصريين ويعيثون في الارض فساداً فلا يدعون الناس وشأنهم يلتفتون الى مصالحهم ويحيون موات الارض ليحصلوا على ما قسم الله لهم من خيراتها بل كانت حالة مصر مما يسر العدو ويسوء الصديق ولقد رأى المصريون في تولية رب هذه العائلة الخديوية ما ينتشلهم من وهدة الفوضى فيتعب ليرتاحوا ويشقى ليسعدوا ويسهر ليناموا في ظل امنه وعدله فاذا به قد كاد لاعدائه كيداً حتى استتب له الحكم واصبح متفرداً بالسلطان مستقلا بالاحكام بعد ان اجرى من دماء المماليك ما استعاضت

به الارض عن ماء النيل ثم اخذ في اجراء ما رأى لزوماً لعمله من اقامة قناطر الري وشق ترعه وانشاء معامل الصناعة فظن الفلاح خيراً ولكنه ما لبث ان انكشف الامر وظهر السر وعلم اهل مصر ان كل هذه الاصلاحات لا يراد بها الاهالي بل ذلك الجيب الخاص فلا الزارع يستغل لنفسه ماتخرجه الارض من النبات ولا الصانع يربح عرق جبينه من عمل يده وفضلاً عن ذلك فالسوط وراءهم والسجن امامهم وما هم الا مسيرون لا مخيرون ومسخرون لا مأجورون فما تمكن انسان منهم من الفرار الا ورمى بالفأس والمحراث الى الارض ان كان زارعاً او بالمبرد والشاكوش ان كان صانعاً وهام على وجهه يطلب الخلاص من ربقة هذا الاسر والعناء وهو في هذه الحال بين ان يربأ بنفسه فيتملص من الشقاء وان تعثر به ايدي اولئك الحكام الجبابرة فتعيده الى العذاب فيقع في البلاء وهو في كلتا الحالين اما مكره على العمل او هارب متشرد متوقع حلول الكرب من حين الى حين

فارض هذه حال اهلها لا يمكننا ان نتصور لها سعادة ولذلك كانت قيمة الارض رخيصة حتى بيعت بلا ثمن وحتى اعطيت للناس كرها . وقد تغيرت هذه الاحوال نوعا في زمن اعقاب محمد علي ولكنها لم تتغير كثيراً ولم يكن تغيرها ناشئاً عن طبيعة الحكومة بل كان من كثرة وجود الاجانب من الاوربيين في مصر فان وجودهم هذب من طبع الحكومة كثيراً واظهر لروح الانسان بعض القيمة غير ان الناس كانوا لا يزالون متمسكين بالانكماش والهروب من اعين الحكام فانه الى عهد اسماعيل كانت الناس تخشى ان تجاهر بغناها فراراً

من سطوات اسماعيل التي كانت تذهب بما يملك المصري من مال او ارض

كل ذلك كان داعياً الى بخس ثمن الاراضي حتى تداخلت اليد الاجنبية في المصالح الاميرية والى ان تمكن هذا الاحتلال من القبض على كل مصلحة مهمة في البلاد فامن الناس على انفسهم واموالهم وعرفوا قيمة الحال فحرصوا على الاراضي وتمسكوا بها إجارة وملكا فغلا سعرها وراجت سوقها حتى انهم حينما عرضوا اراضي الدائرة السنية للبيع بواسطة الشركة لم يبق منها الا النزر اليسير كل ذلك كان باسباب استتباب الامن واستقرار العدالة في البلاد على الارواح والاموال

ولكن من الناس من يسيء الظن في مستقبل الاراضي فيقول انها بلغت ثمنا فاحشا وانه يتوقع لها البخس في المستقبل وانه يجب على الناس ان لا يقبلوا على ابتياعها هذا الاقبال الزائد ولهؤلاء ادلة يقيمونها على صحة افكارهم منها ان الاطيان قد زاد ثمنها عن قيمتها الحقيقية اذا قارنا ثمنها بغلتها زرعاً أو اجارة ومنها ان ثمن المحاصيل وعلى الاخص صنف القطن سيهبط عن القيمة الحالية متى زرعت ارض الوجه القبلي صيفاً

واننا اذا سلمنا بان ثمن الاراضي قد ارتفعت كثيراً عن ذي قبل حتى ان الفدان الذي كان يساوي عشرة جنيهات قبل خمسة وعشرين صار الآن يساوي خمسين أو ستين جنيهاً ويمكننا ان نسلم تسليماً جدليا بان ثمن الاشياء يهبط بكثرة وجودها وقلة الراغبين فيها ولكن امامنا ادلة كثيرة تثبت ان ثمن الاطيان لا بد ان يرتفع وكذلك قيمة اجارته حتى يبلغ حداً محدوداً بالتقريب واليك هذه الادلة

ان أقرب قياس يمكننا ان نحدد به ثمن الاطيان هو مقدار غلتها السنوية أو اجارتها وهذه في مصر الآن تبلغ اكثر من ستة في المابة وهذا كثير في جانب ما تطلبه اوربا من الفائدة التي اذا بلغت اربعة في المابة سنوياً كانت كافية لمطامع ارباب الاموال من الغربيين الذين ضاقت الدنيا ذرعا باموالهم وتقلصت بلادهم عن ان تسعها فلا بد لهم من ان يوجهوها الى خارج ممالكهم لتربح اكثر مما تربحه هنالك وقاعدة الاقتصاد السياسي تقتضي تعادل الارباح ولو مع طول الزمن متى توفرت شروط المشابهة في الاعمال فما دامت اوربا تكتفي بالفائدة القليلة وفي مصر من ريع الاطيان فائدة كثيرة فلا بد مع طول الزمن من ارتفاع ثمن الاطيان حتى يكون ريعها يساوي اربعة في المابة مثلا من اصل ثمنها أو يزيد قليلا

واما القول بان الخزان سيكون سبباً لزيادة كمية الزراعة القطنية ويتسبب عن ذلك نزول سعر القطن ويترتب على ذلك بخس اجارة الاطيان ثم يليه هبوط اسعارها فهذا ليس في الحساب لمن يمعن النظر في احوال مطلوبات القطن للعالم اجمع ومن يحقق ان عدد الناس يزيد في العالم وانهم ميالون الى استبدال الصوف بالقطن في ملبوساتهم ويعلم ان الممالك المتمدنة آخذة في فتح الممالك غير المتمدنة وان ذلك يترتب عليه زيادة مقطوعية طلب القطن، ويعلم من جهة أخرى أن محصول القطن المصري لا تأثير له في أسواق أوربا بقدر محصول القطن الاميركي يستنتج من ذلك انه اذا زرعت كل أطيان الوجه القبلي قطناً فلا يكون ذلك داعياً الى هبوط ثمنه هبوطاً محسوساً

وعليه فلا خوف من مسئلة الخزان على نزول ثمن الاطيان

وزد على كل ما قلناه ان الزراعة في مصر قابلة للتحسن كثيراً وانها لا تزال بعيدة عن استعمال الآلات التي تسهلها وانه متى استعملت هذه الآلات كان ذلك سبباً في تقليل نفقة الزراعة فتعطي من الفائدة اكثر مما تعطي الآن. فبناء على ما تقدم يتضح لاخواننا المصريين ان لا يعولوا على القول بان ثمن الاراضي لا بد ان يهبط وليتمسكوا بما في ايديهم وليحوزوا ما شاؤا منها فان مستقبلها يكاد يكون مضموناً وبذلك تبقى للبلاد علاقة بهم والا اصبح الاجنبي المزاحم لهم مالكاً لهم واصبحوا هم اجزاء عنده ولله عاقبة الامور

استغلال الاراضي

كتبنا في الفصل الماضي عما يختص بقيمة الاراضي المصرية وانها قابلة للزيادة رغماً عن انشاء الخزان الذي سيزيد في كمية محصول القطن بالنظر لاروائه أراضي الوجه القبلي صيفاً بحيث يتمكن أربابها من زراعتها قطناً والآن نريد أن نتكلم عن بعض احوال عامة في كيفية استغلال الارض بالزرع ولكننا اذا تكلمنا في هذا الموضوع فاننا لا نتكلم عن تحليل وتركيب العناصر التي تتركب منها الاراضي وما يوافق فيها زراعة الاصناف على اختلافها وطرق الحرث والبذار لان هذا ليس من موضوعنا بل يجدر بنا ان نتركه لاربابه من رجال الكيمياء الزراعية وعندنا من رجال مدرسة الزراعة والجمعية الزراعية الاكفاء لاختيار هذه الامور والبحث فيها وافادة الامة بنتيجة مباحثهم وتجاربهم

حتى اننا لو تكلمنا عن شيء من هذا القبيل فانما يجب علينا أن نأخذه منهم وننقله عنهم وعلى ذلك سيكون بحثنا قاصراً على المسائل الادارية والاقتصادية فنقول

توجد ثلاث طرق لاستغلال الاراضي بمصر لمالك رقبتها

أولها ان يزرعها لنفسه

ثانيها ان يشارك الزارع على زراعتها

ثالثها ان يؤجرها للزارع بيده

فاما الطريقة الاولى فهي أقرب الطرق للمالك وانفعها له اذا نظرنا اليها نظراً سطحيا وقلنا انه بواسطتها يمكنه ان يحصل على الحد الا على من ربحها لان كل محصولها له فلا يخرج منها غير اجرة العامل وهي ما يسمونه بالمزارعة وما زاد على ذلك فهو له وهي في الحقيقة كذلك اذا كان مالك الارض زارعاً يفلح الارض بنفسه وكان مقدار ما يزرعه قليلا في بلدة واحدة واما اذا لم يكن مالك الارض زارعاً يفلح الارض ويحرثها بنفسه فان اجارتها تكون أربح من زراعتها لاسباب شتي نذكر أهمها وهي

أولاً ان مالك الارض يتكلف من النفقات ما لا يتكلفه الزارع بيده وهذه النفقات هي

(١) تعطيل ثمن الدواب التي يحرث الارض بها

(٢) علف هذه الدواب

(٣) اجرة حراسة هذه الدواب وخدمتها

(٤) حراسة الزراعة وهي في الغيطان

(٥) حراسة الزراعة وهي في الاجران

(٦) » » في المخازن

(٧) نفقات الادارة من مرتبات ناظر زراعة وكاتب الخ

ثانياً ان الزارع اذا كان يزرع الارض لنفسه فانه يبكر الى خدمتها واصلاحها ويسهر على ريها ويحرس زراعتها بلا باعث غير الربح الذي ستعود نتيجته عليه لا يشاركه في ذلك مشارك واما اذا كان يزرع للمالك بالمزارعة فانه يكون مهملا في كل شؤون الزراعة فلا يبكر الا مسوقاً بيد الناظر ولا يوجد في نفسه من البواعث على بذل الجهد في اتقان عمله وشغل اوقاته ما يوجد اذا كانت نتيجة الربح له خاصة لانه قد انغرس في ذهنه ان المزارعة مهما كانت فان غالب نتيجتها عائد على المالك ومن البديهي ان الانسان يشتغل لنفسه اكثر من ان يشتغل لغيره

فهذان سببان قويان يجعلان تأجير الارض اربح من زراعتها لحساب مالكها ولكن من الناس من يعتقد ان الزراعة تفتح البيوت مهما كانت نتيجتها الخسارة على ان المجربين من العقلاء قد علموا ان صاحب الارض يربح منها بالتأجير ما يقرب من ضعف ما يربح من الزراعة بحيث ان الفدان الذي ينتج أربعة أو خمسة جنيهات بالزراعة ينتج ستة أو سبعة بالتأجير للزارع الصغير

ورب قائل يقول كيف ان الزارع يقتصد كثيراً مما ينفقه المالك اذا زرع الارض لنفسه فنقول نعم ان دابة الزارع التي هو في حاجة اليها لحرث الارض

هو يقتنيها زرع او لم يزرع لانه في حاجة الى لبنها ليقتات به هو وعياله فيصنع منه الجبنة ويستخرج الزبدة ثم يربح منها نسلها الذي يبيعه ويأخذ من روثها وقوده ويطحن عليها قمحه ولا يتكلف النفقة على علفها لان امرأته أو ابنته تسرح بها فتقوتها الاعشاب التي تنبت على شواطئ الترع أو تجني لها من ورق الذرة في وقتها أو تطلقها ترعى في المزارع التي حصدت زراعتها أو تلتقط الحب من الاجران التي خزنت غلتها وفضلا عن ذلك فان الفلاح اذا استأجر أرضاً لم يقتصر في العمل بها على نفسه بل ان امرأته وبنته وابنه وأقاربه الذين يأوون اليه كلهم يشتغلون معه في تلك الارض فتنتج الخير العظيم ، فشتان بين شغله بالمزارعة وشغله لنفسه

نعم ان الارض التي تحتاج الى اصلاح اصلي كالاراضي التي يوجد بها مرتفعات ومنخفضات يجب على مالكها ان يزرعها لاجل اصلاحها ولكنها بمجرد صلاحيتها يكون من مصلحته ان يؤجرها للاسباب التي ذكرناها وكذلك الاراضي التي يكون عدد سكانها قليلا فان الرغبة في تأجيرها تقل ولذلك يكون من مصلحة صاحبها ان يزرعها لحسابه وما عدا هذا وهذا فان تأجير الارض للاسباب التي اشرنا اليها أربح من زراعتها

وزد على ما ذكرناه ان زراعة الارض لو انتجت من الربح بقدر قيمة اجارتها فان الاجارة تكون أضمن لاسباب كثيرة منها الخطر الذي يتهدد المحاصيل من مثل الشرق والآفات التي تعتورها من الحوادث الجوية وبخس الاسعار وغير ذلك مما لا يخفى على المزارعين

ولا يمكننا بوجه من الوجوه ان نتصور ربحاً لمالك الارض اذا زرعها لنفسه كربحه اذا أجرها للزارع بيده الا اذا كان هذا المالك من البارعين في فن الزراعة علماً وعملاً حيث يكون في قدرته التفنن في اصناف الزراعة وخدمتها باحدث آلاتها الاقتصادية وتسميدها باحسن الاسمدة الكيماوية لانه حينئذ يمكنه ان يستغل منها ما يساوي ربح الزارع بيده أو ما يزيد عليه لان الزراعة العلمية العملية تنتج ارباحاً قدلا يتصورها غير من يكابدونها ولا يعرفها غير من يعانونها واليك من الامثلة ما قامت به الجمعية الزراعية من التجارب في مسألة الاسمدة وما انتجته من الارباح فقد شرحت لنا مجلة هذه الجمعية التجارب الآتية عن زراعة القطن المسمدة وغير المسمدة ونتيجة كل منها في أراضي (ميت الديبة) بمديرية الغربية فقالت في بحث لها ما يأتي

	متحصل الفدان بالرطل
الارض الغير مسمدة	٨٨٠
المسمدة بالسباخ البلدي	١١٣٥
« بالنيتروجين وحده	١٣٢٠
« بحمض الفوصفوريك والبوتاسا	١٣٤٠
« بالنيتروجين وحمض الفوصفوريك	١٦٠٠

فمن النتائج المذكورة ترى لاول وهلة فائدة استعمال تلك الاسمدة وقد كان للاسمدة تأثير عظيم جداً بالنسبة اضعف الارض أما اذا كانت الاراضي المسمدة خصبة ومخدومة كما يجب فلا تؤثر فيها الاسمدة كثيراً كما لو كانت

ضعيفة ومعلوم ان الجمعية في عمل تجاربها تبذل ما في وسعها من العناية وان تلك التجارب تحتاج الى تعب كبير ويجب ان لا يظن ان النتائج التي ذكرت هي مطلق تقدير وانما هي نتائج وزن مضبوط لمتحصل كل قسم وقد فصلت الاقسام عن بعضها لامكان مشاهدة قطن كل قسم منها على حدة ولعدم اختلاط اقطان الاقسام مطلقاً حتى بعد الجني

هذا واذا اعتبرنا المتحصل الناتج عن اوفق مخلوط من الاسمدة وهو النيتروجين وحمض الفوصفوريك فنرى فيه زيادة ٧٢٠ رطلا من القطن بمقابلة بمتحصل الارض الغير مسمدة وقيمة هذا القطن باعتبار القنطار الواحد ٣٥٠ غرشاً صاغاً تبلغ ٨٠٠ غرش صاغ وثمن السماد الكيماوي ونفقة وضعه في الارض يبلغان ١٨٠ غرشاً صاغاً ومن ذلك يرى ربح كبير مقداره ٦٢٠ غرشاً صاغاً من الفدان الواحد

وقد تحقق كل من شاهد ارض الجمعية في ميت الديبة بان متحصل قدره ٥ قناطير من القطن اليانوفتشي هو محصول جيد غير انه جريا على ما تقدم يمكن انتاج مثل هذا المتحصل الزائد من الاراضي الضعيفة اذا روعيت فيها الخدمة المتقنة والتسميد الموافق اهـ

فما تقدم يتضح لنا ان الزراعة العامية العملية تنتج ارباحاً طائلة قد لا يحلم بها الزارع بيده وان كان اربح المزارعين صفقة وقد بقي علينا بعد ما تقدم ان ننظر في مسئلة الشركة في الزراعة بين المالك والزارع بيده وانت تعلم بعد الذي شرحناه لك انه مهما كان نصيب الفلاح منها كبيراً فانه لا يزال راسخاً في ذهنه

ان نتيجة الربح ليست له خاصة فلا تكون نتيجة عمله كما ينتظر المالك ان تكون . ولنا كلمة ختامية في الزراعة بالمقالة الآتية

كلمة ختامية في الزراعة

ليست هذه الكلمة الختامية في الزراعة شيئاً جديداً او اقتراحاً لم يسبق اقتراحه وانما هي تفسير لقولنا في المقالة الثامنة ان الذي يريد ان يربح من ارض يملكها من زراعتها لنفسه يجب ان يكون ممن تعلموا الزراعة وتلقوا دروسها على كبار المعلمين لانه حينئذ يمكنه ان يستغل منها اكثر من ربح اجارتها للزارع بيده

وقد سبق لنا ان ضربنا مثلا على نتيجة الزراعة والعمل وذلك في نقلنا تجارب الجمعية الزراعية لزراعة القطن بأحسن انواع السباخ ووجدنا ان النتيجة هي ربح ستماية قرش في الفدان الواحد عما اذا زرع بدون سباخ وفاتنا في تلك المقالة ان نشير الى امر هو من اهم اسباب خسار ارباب الاطيان وهو قلة وجود النظار الامناء لمباشرة الزراعة فغالبهم ممن اعتادوا الاتفاق مع صغار الزراع على اغتيال محاصيل المالك ولكن من ارباب الاطيان من ينخدع كثيراً بوعود هؤلاء الخدم بانهم سيصلحون أرضهم ويجعلونها تنبت الذهب ومن المالكين من تنطلي عليهم هذه الاقوال فلا يكون عندهم شك في تصديقها ولهؤلاء الخدم حيل يدخلون بها عليهم ليروهم انهم يربحون كثيراً من زراعتهم وكثير من اصحاب المزارع الواسعة ليسوا ممن يعرفون طرق الاقتصاد بل

ان منهم من لا يعرف قواعد الحساب الاصلية ولذلك تراهم محرومين من ربح ما يملكون ومن اهم ما يظهر هؤلاء الخدم للمالك لاجل ان يثبتوا لهم براعتهم في الزراعة هي ان يعملوا لهم حساباً عن المحاصيل لا ينطبق على الحقيقة ولكن يرى منه المالك ان أرضه بحسب حالتها قد أعطت من المحاصيل أكثر ما يمكن ان تعطيه أرض جيدة جداً ومن أمثلة ذلك ان يظهروا لهم في زراعة القطن انهم زرعوا في هذه السنة مائة فدان وتكون الزراعة الحقيقية مائة وعشرين فداناً فاذا قلنا ان محصول المائة وعشرين فداناً هو ٦٠٠ قنطار وقسمنا هذا المحصول على مائة فدان وهو المقدار الذي يعرف المالك انه زرع كانت النتيجة ان الفدان أعطى ستة قناطير وبأمثال هذا الحساب يفهم المالك ان أرضه من أحسن الاراضي وانه لا يمكنه أن يستغل منها بالاجارة اكثر من الزراعة ولهؤلاء الخدم سياسات وأقوال وعبارات يضحكون بها من عقول المالك واكثرها عبارات الزلفى والخضوع والتملق واظهار الخوف على مصلحة المالك والمحافظة على ماله وشرفه واسمه لا يفترون عن ذلك طرفة عين حتى ان المالك يفتخر بهم ويظن ان خدمه هؤلاء أطهر الناس ذمة وأبعدهم نظراً وانه يندر ان يجود الدهر لهم بمثيل وانه انما استأجر القوي الامين

ونحن لا نقول ان كل الناس سواء في عدم الامانة ولكننا نتكلم على الاكثر والاغلب ويمكننا أيضاً أن نقول انه اذا لم يكن هؤلاء الخدم من الخونة فقد يكونون في سلامة الضمير كسيدهم وفي هذه الحالة يكون الزارع نفسه هو الفائز بمنافع الارض دون مالكها ودون وكيله فيها

أما اذا كان المالك عالماً بالزراعة عاملاً بها فانه تتوفر لديه شروط الربح منها أكثر من التأجير وذلك لما ذكرناه من الاسباب وما سنذكره في ما يأتي

وهو ان المتمكن من معرفة الزراعة علماً وعملاً يمكنه فضلاً عن الاستفادة من اتقانها ان يستفيد من أشياء أخرى تلتصق بها ولا تكلف الفلاح عناية كبرى وهي

أولاً تربية المواشي والربح من نتاجها بعد الاستفادة من تشغيلها فان الاعتناء بها وتكلف تربيتها يعود بالفائدة العظمى على المالك وفضلاً عن ذلك فانه ينتفع من ألبانها فيستخرج منها الزبدة والجبنة وهما صنفان تحتاج البلاد الى كمية وافرة منهما . على أننا بأقل التفاتة الى دكاكين البقالين نجد من أنواعهما كميات وافرة يبتاعها الناس مما يرد من خارج البلاد المصرية ويفضلونها على الجبنة والزبدة الوطنية لانها مصنوعة على أنواع مختلفة وبحسب مشتهى الاذواق فلو قمنا نحن بتقديم أنواع كثيرة نقلد بها الاصناف المذكورة لأقبل الجمهور عليها وقل واردها من الخارج وليس من المستحيل ولا بالبعيد على العارفين بفنون الزراعة خصوصاً المتخرجين من المدارس الزراعية ان يتقنوا عمل الزبدة والجبنة كما تتقن في البلاد الخارجية

ومع تربية المواشي التي تستخدم لحرث الارض والاشغال الزراعية يمكن الاعتناء بتربية الضأن والماعز حيث يربح الفلاح من نتاجها والبانها كما يربح من بهائم التشغيل ويمكنه ان يربح أيضاً من أصوافها وكل هذا ليس بالقليل

ثانياً تربية الطيور الداجنة والطيور البرية مثل الحمام ويربح منها أيضاً ربحاً طائلاً

ثالثاً تربية النحل فانها تغل العسل ولا تكلف الانسان نفقة كبيرة

رابعاً تربية دود الحرير وهذا وان كان يستلزم زراعة التوت الذي يقتات دود الحرير من ورقه وان زراعة هذا الصنف تختص ببعض الاراضي المصرية ذات القيمة القليلة الا انه لا بأس من ان يخصص كثير من المزارعين أنفسهم بمثل هذا العمل النافع لنفس الشخص والعائد بالفائدة الكثيرة على مجموع الامة

خامساً عمل البقول المحفوظة داخل صناديق فاننا نجد عند الباعة منها أشياء كثيرة تباع بأعلى الاثمان مثل أصناف الهليون (كوش كونماز) والبسلة وعيش الغراب وهذه كلها لو قام بها صاحب الزراعة يربح أرباحاً طائلة وليست هذه كل ما يمكن حفظه بل ان أصنافها عديدة جداً وسهلة العمل على الذين تلقوا العلوم الزراعية

واننا قبل ان ننتهي من كلمتنا الختامية في الزراعة يمكننا ان نشير الى مورد رزق كان في يد الفلاح ثم حرم منه منذ بضعة عشر عاماً وهو زراعة التبغ (الدخان) ولا يستقل القاريء هذا الصنف الذي يبلغ دخل الحكومة من كمركه ما يزيد على مليون جنيه سنويا حتى أصبح الناس وحاجتهم اليه حاجتهم الى الخبز والماء ولكن عذر الوزارة التي منعت زراعته بتاتا ان الحكومة تستغل من كمركه اذا ورد من الخارج أكثر من مليون جنيه في السنة على ان

هذا العذر غير مقبول لان ربح الحكومة من زراعته في البلاد قد يكون أضعاف ما تربحه من الكمرك

نعم اننا لانقول انا لو زرعناه هنا يمتنع وارده من الخارج لان الصنف البلدي يختلف عن التركي فضلا عن ان كثيرا من طبقات الموسرين يفضلون الصنف التركي ولكن تسعة ملايين من المصريين وهم طبقة العامة من الاهالي يفضلون الصنف البلدي لانه أرخص ويوافق ذوقهم أكثر من غيره وربما كان أقل ضرراً من غيره على الصدر

واننا لو اقتصرنا على هذه الملاحظات دون أن نقيم على كلامنا برهاناً طرح القراء كلامنا في زوايا الاهمال ولم يعيروه أذناً واعية فيجدر بنا ان نأتيهم بالبينات التي تثبت دعوانا في ان زراعة هذا الصنف تعود على الاهالي والحكومة بالارباح الطائلة معاً واليك البيان

لقد أثبت لنا الخبيرون بهذا الصنف أن الفدان فيه يعطي من مائة قنطار مصري الى ثلاثمائة فاذا قلنا ان القنطار هو عبارة عن ٣٦ أقة كان محصول الفدان الواحد من ٣٦٠٠ أقة الى ١٠٨٠٠ واذا قلنا أننا يجب علينا ان نقدر الحد الادنى وهو ٣٦٠٠ أقة امكننا أن نسد طلبات الحكومة من الضرائب التي تضرب على هذا الصنف مهما كانت عالية

ولا يخفى ان أصناف الدخان التركي تباع في مصر بأثمان مختلفة ولنفرض أرخصها وهو ما تساوي الاقة منه ثلاثين قرشا فاذا قدرنا ثمن الاقة من لدخان البلدي عشرة قروش كان ثمن محصول الفدان الواحد يساوي ٣٦٠

جنيهاً مصرياً فاذا كان ربح الانسان من الفدان الواحد ٣٦٠ جنيهاً وفرضنا انه يدفع عليه من المال وينفق على زراعته ما يوازي عشرة جنيهات كان الباقي له ٣٥٠ جنيها فاذا فرضنا ان الحكومة تتقاضى منه ضريبة خاصة بهذا الصنف أو عوائد على الاقة بما يوازي مئتي جنيه عن محصول الفدان الواحد كان الباقي له بعد كل ذلك مائة وخمسين جنيها وهذا ربح طائل بالنسبة الى الفلاح ويمكن ان يزرع في مصر فوق خمسة آلاف فدان أي بما يساوي ماتتقاضاه الحكومة كركا على الدخان التركي فا كثروبذلك تكون قد استفادت وأفادت

على اننا لانجزم بأقوالنا هذه وانما نطرحها تحت البحث والتحري فهل للخبيرين بزراعة هذا الصنف ان يفيدونا بما هو أهم وعما يفيد موضوعنا ـ ثم هل لرجال الاصلاح ان يعيرونا التفاتة الى زراعة الدخان ويؤلفوا لجنة من كبار المزارعين ورجال الاقتصاد السياسي ليدرس هذا الموضوع درساعلميا وتستخرج النتيجة المفيدة للاهالى والحكومة معا ـ ثم هل يسمعنا جناب المستر فودن او رجال الجمعية الزراعية أو المدرسة الزراعية كلمة تقال في زراعة الدخان ومستقبلها في مصر فنكون له من الشا كرين

باب الصناعة

في الصناعة

قلنا في الفصول السابقة ان كثيراً من الناس يعتقد أن مصر بلاد زراعية محضة وانه لا يمكن أن تكون صناعية وانهم يقولون ان السبب في ذلك عدم

وجود مناجم الفحم والمعادن في مصر على اننا فندنا هذه الظنون والمعتقدات وقلنا ان عدم وجود هذه الاشياء في مصر لا يحول بيننا وبين آمالنا في تشبث المصريين بالصناعة لان كثيراً من الصناعات لا تحتاج الى هذين الشيئين ولان البضائع لا يزال يوجد فيها ربح بعد اسقاط فرق ثمن المعادن والفحم في هذه البلاد والبلاد الخارجية فوجب اذاً ان نبني مقالنا الآن على القول بان الصناعة لازمة لكل بلد من البلدان وان كانت زراعية خصوصاً وان الزراعة لا تتقدم التقدم المطلوب الا بالصناعة

واول شيء يجب على الذين يرغبون تأسيس مصانع لانفسهم أو لشركات مساهمة ان ينظروا فيه هو حاجة البلاد الى الصنف الذي يريدون القيام بصنعه لان نظرهم في ذلك وتقديره له علاقة بنجاح المشروع اذ قد يصادف كثير ممن يهمون بمشروعات جليلة لانشاء مصانع ومعامل ان تكون البلاد في غنى عنها بما فيها من السابق من المصانع ولو كانت قليلة وفي هذه الحالة يعرض اصحاب الاموال ثروتهم الى الضياع حتى اذا عرفوا ان الصنف الذي سيقومون بعمله لازم للبلاد وهي في حاجة شديدة اليه وهي تستمده من البلاد الاجنبية كانوا واثقين من نجاح مشروعهم والا فيكون تركه أولى واجدر

ويلي ذلك في الاهمية عمل التصميم الحسابي عن ما يلزم من الآلات والادوات ومواد الصناعة وعن اثمانها وتكاليفها لان الاقدام على تأسيس المصانع بدون الوقوف على هذه المعلومات يعد عبثاً وذلك ما أشار اليه كبار العقول من قولهم ان الانسان يجب عليه ان يقدر الخروج من الاشياء قبل

الدخول فيها وهنا يجب علينا أن ننبه على انه قد تكون صناعة من الصناعات لازمة في بلد ومجلوبة اليها من الخارج ومع ذلك فان اهل البلاد انفسهم لا يمكنهم بوجه من الوجوه مزاحمة البلاد الاجنبية في الربح منها وذلك قد يأتي لامور لا ذنب للاشخاص فيها بل قد تكون اسبابها طبيعية محضة ومع هذا فما نشير اليه يكاد يعد في النادر الذي لا حكم له والغالب ان الصناعات يجوز تأسيسها في كل بلد ولو لرفع حاجة البلد نفسها الى استجلاب صنف هذه الصناعة من الخارج

ومتى عرفنا حاجة البلد الى الصنف المراد صنعه وعرفنا مقدار ما تكلفنا المصانع والمصنوعات من النفقات الثابتة والهالكة يجب علينا ان ننظر في رأس المال وهو من اركان العمل لان بدونه لا يتم شيء ولو توفرت كل الظروف لصاحب مشروع ونقصه رأس المال لما امكنه ان يتم مشروعه ومن الناس من يستسهل الدخول في اعمال كبيرة برأس مال صغير فتكون نتيجة اتعابه الفشل في مشروعه ويتطرق هذا العيب الى فكر الناس من آمالهم الكبيرة في ان اعمالهم متى ابتدأوها اعطتهم ما يكفي للتوسع في رأس المال على ان الصناعات يجب ان يحسب لها حساب دقيق في تقدير رأس المال بحيث ان الذي يهم بعمل صناعة يجب ان يكون واثقاً من ماليته في ما يكفي للقيام بهذا العمل وعندنا مثال نقدمه للقراء وهو شركة سكة حديد الفيوم فان الذين قاموا بتأسيسها ظنوا انهم بمجرد اعلان هذا التأسيس وتصديق الحكومة على مشروعهم واصدار اسهم له تهافت الناس على شراء هذه الاسهم بما عزوها ان

فترتفع اثمانها ويربحون منها اضعاف ما قدروا لها من القيمة ولذلك أسسوها وليس عندهم من رأس مالها ما يوازي النصف ولهذا السبب احتاجوا بعد حين من تأسيسها الى اصدار اسهم جديدة كانت سبباً في نزول اسعار الاسهم الاصلية فكان عدم تقدير رأس المال كما يجب من اهم أسباب فشل كثير من مساهمي هذه الشركة فيجب ان ينظر الى تقدير رأس المال بعين الاهمية حتى اذا كان في استطاعة مؤسس الصناعة ان يسد حاجتها من المال اللازم لتأسيسها قام بها والا فاولى له ان يتركها ويتعلق بغيرها من الصناعات التي لا تحتاج الى رأس مال كبير عملا بقول القائل

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

في اهم الصناعات

تحتاج البلاد المصرية الى كل الصناعات التي يمكن وجودها في بلاد أخرى ولكن من الصناعات ما يقدم عمله على غيره لشدة احتياج مصر اليه اكثر من غيره

ويجب علينا ان ننبه على ان هذه القاعدة لا تفيد كل ذي عزم على انشاء أية صناعة ولو لم تكن تلك الصناعة مما نحتاجها كثيراً والحكمة في ذلك وجود الحرية لكل ذي عزم وعدم احباط مساعي كل راغب في أي عمل وذلك لان من الناس من يميل بطبعه الى صناعة مخصوصة قد لا تكون البلاد في حاجة شديدة اليها وهنا يمكننا ان نضرب مثلا فنقول ان من اهم ما تحتاج

اليه البلاد المصرية صناعة الحديد والحياكة مثلا لان الاولى لازمة للزراعة والثانية من اهم موادها القطن والصوف وهما من محصولات مصر ولكننا لو رأينا انساناً يهتم بعمل آلات الفونوغراف قبل ان يهتم هو او غيره بعمل الصناعتين السابقتين لما كان لنا ان نشير عليه بالامساك عن العمل ولا ان نحبط مسعاه لانه قد لا ينجح الا في عمل الآلات الفونوغرافية

والذي ينظر الى الناس نظر مختبر أخلاقهم يجد أن ميلهم الى الاحتراف بالحرف وتعلقهم بالصناعات ليس الا من قبيل العشق بل قد تصل درجة عشقهم هذا الى الشغف والتولع فقولك لعاشق صناعة الفونوغراف اترك هذه الصناعة لان البلاد ليست في حاجة اليها كحاجتها الى الحدادة والحياكة هو كقولك للعاشق الولهان اترك هذه الفتاة التي تهواها واعشق غيرها فان في الاولى من العيوب كيت وكيت

على ان هذا الميل أو العشق الذي يوجد في خلق الانسان كان سبباً في تقدم الصناعات والفنون ولولاه لكان تقدمها بطيئاً فما لنا نقف في سبيل نجاح أي انسان في أية صناعة مهما كانت حاجة البلاد اليها قليلة فليعمل كل ما يميل طبعه اليه من الصناعات والفنون فان ذلك اقرب الى نجاحه

وحيث اننا قد عرفنا ذلك فلنا ان ننبه الى اهم الصناعات التي يجب علينا ان نفكر في ايجادها أو التوسع فيها اذا كان عندنا منها شيء غير كاف واليك البيان

الحدادة – وحاجة البلاد اليها حاجة الظمآن الى الماء واول ما يدفعنا الى الاهتمام بالحدادة علمنا بان البلاد آخذة في العمران فسككها الحديدية تكثر

في كل سنة عن التي قبلها والحدادة من أشد لوازمها كما لا يخفى والعمارات تشاد في انحاء القطر والحدادة ركن من أركانها المهمة وآلات الري والحرث وغيرها مما يلزم للزراعة وغيرها تزيد ولا بد لها من الاصلاح والتجديد وهذا يعسر عمله في أوربا لزيادة نفقة النقل فلا بد له من دور صناعة تقام في البلاد لتفي بالغرض وتسد الحاجة ولا يعترض علينا بان الحديد يجاب من الخارج وآلات الاصلاح تجلب من الخارج فان هذا لا يمنعنا من تأسيس هذه الدور لانه سبق لنا القول بان عدم وجود المعادن عندنا لا يمنعنا من الاشتغال بها وعندنا مثل نضربه الآن على ذلك وهو ما يلزم للطباعة من آلات الطبع فاننا نبتاع الواحدة منها بمائتين أو ثلاثماية جنيه فما فوق مع أن قيمة ثمن المعادن فيها لا تتجاوز عشرين جنيهاً فيكون الباقي مائة وثمانين جنيها مقابل أجرة العمال الذين عملوها وربح صاحب المعمل والتاجر الذي باعها ومن ذلك نعلم علم اليقين ان المادة الاصلية للمصنوعات وان لم تكن مستخرجة من أراضي بلادنا الا اننا مع ذلك نربح منها اذا صنعناها عندنا

وعندنا الآن معملان وطنيان من أكبر المعامل في القطر وهما ورشة الخواجه تودري باخوم ببولاق وورشة حسبو بك محمد باسكندرية وهذان المعملان ناجحان في أعمالهما منذ عدة سنين ولكننا لو أقبلنا عليهما واستعضنا عما نجلبه من أوربا من الآلات بما نصنعه فيهما لكبرت دائرتهما وقدرا على القيام باهم الاعمال وجلبا من الصناع من يقوم بادق المصنوعات وهما سائرتان في هذا الطريق ولكن تشجيعهما يسرع ويضاعف نجاحهما.

الحياكة — وحاجة مصر اليها شديدة ومادتها الاصلية من محاصيل البلاد النامية في أرضها وليس بعجيب اذا قلنا أن قنطار القطن يؤخذ منا بجنيهين أو ثلاثة ويعود الينا منسوجاً من أوربا فنبتاعه بعشرين جنيها وقد يصل الى ثلاثين ففرق الثمن ليس الا في مقابل أجرة العمل وربح التاجر وهذا ربح وافر ومعمل الغزل والنسج الموجود الآن بمصر لا يسد حاجة البلاد فلا بد من انشاء كثير من أمثاله أو توسيع نطاقه بحيث يقوم بمطالبنا منه

وفي هذه الصناعة أنواع كثيرة من النسج وكثير منها آلاتها تدار باليد فلا تلزم لها آلات بخارية وهي ما يصنع به جرابات الارجل والقمصان وغيرها وهي رخيصة الثمن وسهلة الاستعمال واسم هذه الآلات باللغة الفرنساوية *(Machine à Tricoter)* وهو نوع من النسيج لا مرادف لاسمه في العربية على ما نعلم. ولا ندري لماذا لا يشيع استعمال هذه الآلات في البيوت والعائلات مع احتياجها الى كميات وافرة من مصنوعاتها فدتكون اثمانها في سنتين او ثلاثة موازية لاثمان تلك الآلات

النجارة — وهي لا تقل في الاهمية عن الحدادة بالنسبة الى العمارات والآلات ولا ينقصنا منها الا الآلات التي يهيأ بها الخشب فيصنع منه ما يشاء العامل

عمل الزجاج — وهذا مما لا تستغني عنه البلاد ومادته الاصلية الرمل والصوان وهما متوفران في مصر وبعض المواد الكيماوي الموجودة بارض مصر

عمل الورق — وهذا مما لا غنى عنه بل انه يساعد في نشر المعارف

متى صنع في مصر وكان ثمنه زهيداً ومواده الاولية متوفرة عندنا لان غالبه من الخرق البالية ومن قش القمح والارز والذرة والخشب وكل ذلك كثير لدينا زهيد الثمن

استخراج المواد الكيماوية -- وهذه المواد يستحضر غالبها من الارض والنباتات وكثير منها مما يمكن استحضاره من أرض مصر ونباتاتها فلا ينقصنا لتأسيسه الا علماء في الكيمياء الصناعية ومتمولون يمدونهم بالمال لتأسيس المعامل

هذا ما أردنا أن ننبه اليه الافكار وهو قليل من كثير مما تحتاجه بلادنا التي تبتاع من هذه الاشياء ما يربو ثمنه على ملايين الجنيهات فلو قمنا بامثال هذه الصناعات في بلادنا لاقتصدنا هذه المبالغ الوافرة وكان ذلك خيراً لنا وابقى

العمل والعمال

تكلمنا في الفصل السابق على أهم الصناعات التي نرجو أن تؤسس في مصر والآن نريد أن نتكلم على العمل والعمال لانه أول ما يفكر فيه كل ذي عزم على تأسيس عمل أو إيجاد صناعة

ولست في حاجة الى القول بأن أصحاب المعامل في مصر يشكون من قلة العمال الماهرين حتى أننا اذا بحثنا في قلة وجود الصناعات بمصر نجد أن أكبر العلل عدم وجود اولئك العمال . وقد بدأ كثير من الناس في بعض الاعمال الصناعية بهمة زائدة ولكن همتهم هذه لم يمض عليها زمن طويل حتى فترت وآل بهم الامر الى ايقاف العمل دفعة واحدة والرجوع عنه ولو

سألت أصحاب هذه الأعمال عن سبب أبطال أعمالهم لقالوا لك ليس في مصر من العمال من يقوم بالعمل

ومن أكبر الشواهد على ذلك شكوى مدير معمل الغزل والنسج في مصر فانه يقول ان اكبر عائق لعدم ربح شركة هذه الصناعة هو عدم وجود عمال يقومون بالعمل كعمال اوربا فلا بد اذاً من التفكير لايجاد عمال ماهرين والا كان شروعنا في الاعمال خصوصاً الكبيرة منها مخاطرة منا برأس المال

على ان هذه العلة قد لا توجد في صناعة من الصناعات البسيطة مثل النجارة مثلاً فان في البلاد عدداً عظيما من النجارين غير أن هؤلاء لا يصلحون لادارة معامل كبيرة الا اذا كان رؤساؤهم ذوي شدة عليهم لا يتهاونون في حثهم على العمل وعقابهم على الاهمال بالعقوبات المالية التي يكونون متفقين عليها ولهذه الاسباب نرى العمال الوطنيين يقومون بواجباتهم عند أصحاب الاعمال من الافرنج أكثر مما اذا كانوا عند وطنيين مثلهم حيث تكون سهولة أخلاق الوطنيين من أصحاب الأعمال مطمعاً لهؤلاء العمال

ولعل قائلا يقول ما دام الأمر كما ذكرت فيبعد علينا أن نؤسس ما تشير به من الاعمال الصناعية ؟ وعلى ذلك نجيب بان هذا الامر لا يعد مانعاً يمنعنا من تأسيس الصناعات بمصر ما دام في أوربا من العمال من يمكننا استخدامه للتأسيس ويمكننا بعد ذلك أن نعد من الوطنيين من يتعلم هذه الصناعات من هؤلاء الاجانب فهذا فعل كل من بدأ بعمل صناعي الى الآن

ونذكر هنا والشيء بالشيء يذكر أن رصيفاً لنا دعانا لان نشاهد مصنعاً

صغيراً انشأه لعمل السلال التي توضع فيها الزهور والتي تحمل فيها أشياء الطعام وعمل الكراسي والمقاعد ذات المظلات وصناديق الملابس السفرية وغير ذلك من الاشياء وكلها تصنع من أنواع بسيطة جداً هي أغصان شجر الصفصاف ومجدول سوق شجر القمح وقد شكالنا حضرته كثيراً من قلة العمال وقال انني استخدم الاجانب لهذه الصناعة لقلة العمال الوطنيين وهو في الواقع يعطيهم اجوراً عالية ولو كانوا وطنيين لاكتفوا بثلثي هذه الاجور أو ثلاثة أرباعها. ومع ان حضرته ينفق على عمله كثيراً فيجلب أغصان الصفصاف من مرسيليا وسوق شجر القمح من ايطاليا وعماله أجانب الا أنه تمكن من ان يبيع من هذه الاصناف للتجار بما ينقص نحو عشرين في الماية عما يجلب من أنواعها من خارج القطر المصري فشكرناه على عمله هذا وحثثنا همته على تعليم هذه الصناعة لعمال من الوطنيين

ولقد سألنا حضرته عن علة ابتياع أغصان الصفصاف وسوق شجر القمح من أوربا مع وجوده هنا فقال أما الصفصاف فلان الصنف الوطني منه قصف لا يحتمل اللي والفتل وأما سوق شجر القمح فلأنها تأتي من أوربا معقوصة وزهيدة الثمن وهي مع زهادة ثمنها هنا فانه ليس عندنا من العمال من يعقصها باجرة زهيدة

فأنت ترى مما قدمناه ان من اكبر العلل التي تعوق نجاح الاعمال الصناعية عدم وجود العمال الماهرين ولكن سهولة استخدام الاجانب في بداية الامر تلاشي هذا المانع . ورب قائل يقول ان هؤلاء الاجانب يتقاضون أجوراً

عالية جداً وان الوطنيين قد يرتضون بالقليل فنقول لا بد لنا من ايجاد الاجانب في أول الامر لتحصل الغيرة منهم على الاقل وبعد ذلك يمكننا الاستغناء عن استخدامهم والاستعاضة عنهم بوطنيين . على انني أرى في العمال الوطنيين عيباً هو ان الماهر منهم في حرفته يجتهد في ان يحتكر هذه الحرفة لنفسه فلا يسمح بتعليم غيره وذلك لكي يقل عدد المحترفين بتلك الحرفة وتزيد أجرة هذه الحرف والصناعات فاذا كان هذا العيب موجوداً في الوطنيين فلا غنى لنا عن العمال الاجانب بل اننا اذا أضفنا ذلك الى نشاط الغربي الماهر في عمله فاننا نكون رابحين باستخدامهم لان في الوطنيين داء الكسل الذي لا يمحوه الا شدة الاحتياج والضرورة وهذان الامران لا يحصلان الا بزيادة مزاحمة الاجانب لهم وسد طرق المعاش في أوجههم حيث يضطرون الى القوت الضروري فينهضون وينفضون عنهم غبار الخمول بدافع الحاجة الى الغذاء الذي عليه قوام الحياة

ويا ليتنا لم نكن مضطرين الى مثل هذه الاقوال التي نقولها باسفنا لانها حقيقية ونتألم لها في الباطن لانها تدل على نقص في الوطني سببه الجهل لا سواه

وكثيراً ما يكون العامل في معمل يتقاضى فيه اجراً وتكون اغلب اوقاته مشغولة بالاعمال فيترك هذا المعمل ويدخل معملاً آخر تكون اغلب اوقاته فيه خالية من العمل وان كان اجره في هذا الاخير اقل وذلك طلباً للراحة . على ان هذا العامل اذا عقل المسئلة ونظر الى مصلحته نظر المحافظ عليها الفضل

المعمل الاول عن الثاني وخلع رداء الكسل وارضى صاحب المعمل فانه بذلك ان عدم زيادة الاجر فلا يعدم وافر الشكر فانما خلق الانسان ليعمل لا ليكسل والا اضطر اخوه الوطني الى استخدام الاجنبي وبقي هو غير نافع لنفسه ولا مشكور من الناس

الصناعة بالعلم

مضى على مصر زمن كان أهلها فيه أميين لا يقرأون ولا يكتبون لا لمعجزة فيهم كما كانت معجزة الامية في نبينا ولكن جهلا منهم بالقراءة مسبباً عن اشتغالهم عن ذلك بالمظالم التي كانت تحيط بهم من كل جانب فكنت اذا حللت قرية أو وطئت قدمك مدينة من مدن القطر لا تجد فيها من يقدر على تحرير كتاب اللهم الا اذا وجدت صراف تلك البلدة وهو من القبط الذين اتخذوا الكتابة حرفة اتعلقهم بالحساب وتخصيص وظيفة حساب الجباية بهم من أولئك الحكام الاميين شراكسة كانوا أو اتراكا واللهم الا القضاة من رجال المحاكم الشرعية.

فبلد هذه حاله مفتقر ولا شك الى مدارس ومكاتب تعلم الناس الف باء وتوقفهم على تركيب الالفاظ بعد معرفة احرف الهجاء ولذلك فانه يجب على المصريين ان يحمدوا اليوم الذي حلت فيه قدم بونابرت ارض مصر لانه كان فاتحة عصر جديد لهم

ومن لنا بمن يقدر الحوادث قدرها ويزن مؤثراتها بميزان الحق والعدالة ويوافقنا على القول بان النهضة التي نهضتها مصر فتغيرت بها احوالها كانت

مبنية على تلك الغزوة التي غزاها نابليون للشراكسة

نعم اننا لا نقول ان حكومتي الشراكسة ومحمد علي كانتا من الحكومات التي تؤول بالبلاد الى التقدم من تلقاء نفسها ولا نقول ان مجرد حلول نابليون شاطئي النيل دفع البلاد الى تحسين أحوالها على اختلافها ولكننا نقول ان حملة بونابرت على مصر جعلت للفرنساويين علاقة باهل مصر وبحكامها وانه لما كان الانكليز سبباً في طرد ذلك البطل الشهير من وادي النيل مال الفرنساويون الى طريق آخر غير طريق الغزو والفتوح وهو طريق السعي في الاستيلاء على قلوب حكام مصر ولذلك توددوا الى محمد علي كل التودد واخذوا ينظمون أحوال بلاده ويشيرون عليه بما أتاه من الاعمال النافعة التي منها نشر المدارس في اطراف القطر

فمن ذلك الحين صار عدد الذين يقرأون ويكتبون يزداد يوماً عن يوم حتى وجد منهم في البلاد مع مرور السنين والاعوام عدد ان لم يكن كثيراً فهو ليس بالقليل اذا قسناه بمثله في الازمان السابقة وقد زاد هذا العدد في زمن الاحتلال الانكليزي زيادة عظيمة سببها حرية التعليم وحرية فتح المدارس والمكاتب . وبعد ان كانت الحكومة تبحث عمن يقرأ ويكتب لتسند اليه وظيفة من وظائفها بدل الاميين صارت الآن تطرد طالبي الالتحاق بوظائفها وكثير منهم يحمل الشهادات الثانوية ان لم نقل العالية

ونحن وان حمدنا الله على وصولنا الى هذه الدرجة الا انه يجب علينا ان ننظر في تكاثر عدد المتعلمين منا وهل هو نافع للبلاد بالحالة التي هو عليها أم

يجب علينا أن نبحث عما يجعلها نافعة من طريق آخر

وانني في هذا المقام لا تذكر تلك الكلمة التي قالها دولة الوزير الخطير رياض باشا في مجلس شورى القوانين وهي انه يؤمل أن لا يعلم الناس ابناءهم في المدارس بقصد توظيفهم بالوظائف الاميرية وان الحكومة ليست ضامنة لان توظف كل متعلم بل يجب عليهم ان يعلموا أولادهم بقصد التعليم نفسه والانتفاع من هذا التعليم بطرق غير الاستخدام بالمناصب الاميرية

كلمة وان لم يقبلها عدد كبير من قصار العقول الا انها كانت الحكمة بذاتها والدواء للحالة الحاضرة . التي بها بين نواب الامة وتركهم يؤولونها بحسب درجة عقولهم ولكن نتيجتها لم تظهر الا في هذه الايام الاخيرة حيث اصبح الوف من المتعلمين لا عمل لهم يشتغلون به وحتى اصبح هؤلاء واهلهم يعتقدون ان التعليم ان لم يكن مضراً فهو غير مفيد . وماذا تنتظر من امة تعتقد في العلم هذا الاعتقاد

والامة في نظر العاقل معذورة اذا اعتقدت الاعتقاد المذكور لان ابن الفلاح الذي ترك اباه في مزرعته وذهب الى المدارس الاميرية فتعلم فيها العلوم وانفق عليه اهله النفقات الطائلة خرج من المدرسة وطرق ابواب الحكومة فلم تقبله موظفاً لكثرة امثاله من الطلاب فعاد الى اهله صفر اليدين خائب المسعى قليل الرجاء ونظر في اعمال اهله فوجدها غير متجاوزة حد الفاس والمحراث وزرعنا وحصدنا وخاب الزرع أو نما وشح المطر أو همى ووجد القائمين بهذه الاعمال الزراعية من الجهلة الذين لا يليق ان يتشبه بهم

ولا ان يعمل عملهم فعافت نفسه العمل وركن الى الكسل وبقي عالة على اهله يكرههم ويكرهونه لبعد ما بينهم من اوجه الشبه . فما رأيك في مثل هذا المتعلم وما ذا تنتظر من وراء تعلمه ووقوفه على المعارف الكثيرة وحصوله على الشهادات مهما كانت درجتها الا ترى انه يكون بين حالتين اما ان يعيش في كنف اهله يطعمونه ويكسونه كما كان طفلا صغيراً واما ان يعول على النصب والاحتيال فتفسد اخلاقه ويفسد اخلاق غيره . ومن يرضى لنفسه احدى هاتين الحالتين ؟ وانه ليدور في خلدي ان هذه الحالة اي وجود متعلمين بلا عمل تكون من الاسباب المهمة في كثرة الجنايات خصوصاً ما كان منها من قبيل التزوير والغش والاحتيال والسرقة والخيانة

ولست أقول ان التعليم في حد ذاته مضر بالامم ولكن زيادة التعليم وقلة طرق الكسب تجبر الافراد على ارتكاب الآثام التي ذكرناها لقلة مالهم وقدرتهم على ايجاد الحيل فلا خلاص لهذه الامة من هذه الورطة الا بالنظر في جعل التعليم صناعياً وعدم الاقتصار على تعليم العلوم بلا صناعة . فليتنا نلتفت الى هذه المسئلة المهمة ونفرغ فيها ما استطعنا من الجهد وبدلا من ان نفتح المدارس لتعليم العلوم نشرك بهذه العلوم الصناعة

ولا يقولن قائل انه يصعب علينا فتح المدارس الصناعية لكثرة ما يلزمها من النفقات للتأسيس والنفقة الدائمة فان المدارس الصناعية اذا عني صاحبها بها ربح منها اضعاف نفقتها . وان الهمة التي بذلتها جمعية العروة الوثقى في تأسيس مدرسة محمد علي الصناعية لهمة تشكر وكذلك قل في جمعية التوفيق

وليس من الصعب على العاقل أن يوفق بين المنفعة العامة والمنفعة الخاصة فالمدرسة الصناعية تعمل الاعمال التي تباع بثمن قد يفي في كثير من الاحيان بنفقاتها وهذا جنسن باشا قد انشأ مدرسة من عهد قريب على هذا المثال وهو يؤمل ولا شك ان يربح منها كثيراً فيستفيد ثم يعلم فيها كثيراً فيفيد

ولا يظنن ظان ان المدارس الصناعية تحتاج الى الوف الجنيهات فيحجم عن تأسيسها فان الانسان حر في اختيار الصناعة التي يعلمها وليس من المحتم عليه ان يعلم كل الصنائع والفنون فان من المدارس ما يختص بصناعة واحدة أو صناعتين ومنها ما يجمع عدة صناعات على انني لو خيرت لاخترت المدارس التي تختص بصناعات قليلة لانها تكون حينئذ قادرة على اتقانها وتخريج صناع ماهرين ينفعون البلاد باعمالهم ويفيدون أنفسهم ويقومون بالوظيفة التي أشار عليهم بها حديث نبيهم « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً » وقوله « ان الله يحب انأحدكم اذا عمل عملا ان يتقنه »

واني ليحزنني ان أرى المدارس الاهلية الحرة تتبع خطوات الحكومة في ترتيب مدارسها ودروسها وليس غرضها من ذلك الا ان تؤهل متخرجيها الى الاستخدام بالوظائف الاميرية وذلك يربي في التلامذة ملكة حب التوظف بتلك الوظائف وعدم التفكير في العمل للكسب من الطرق الحرة الاخرى فليتنا نترك الحكومة وشأنها تعلم من تشاء وكيف تشاء ونشتغل ونهتم بما ينفع ابناءنا اذا اردنا ان نعدهم ليكونوا رجالا لا يعولون على الحكومة ووظائفها ولا يرتكنون على الاهل والاقارب بل يعولون على انفسهم ويربحون من عرق

جبينهم فذلك خير لهم وابقى على مستقبلهم

باب التجارة

في التجارة

لقد تكلمنا في ما سبق على الزراعة والصناعة بما وسعه المقام وبقي علينا ان نتكلم على التجارة لانها احد اركان الثروة وسر من أسرار النجاح في هذه الحياة بل هي الشيء الذي يعد المصريون فيه في آخر صفوف الامم فنقول

كان الناس يقولون ان محمد علي باشا هو الذي أعاد الى مصر مدنية فراعنتها ولذلك فانهم يعطونه لقب ممدن مصر على انه سبق لنا القول بان كل ما عمله لم يكن من بنات افكاره وانه لم يأت ما أتاه من المسائل الزراعية والصناعية والتجارية حباً في نفس المصريين بل في شخصه وتوسيعاً لثروته وعلى الخصوص في مسئلة التجارة فانه احتكرها لنفسه فلم تكن تجد تاجراً يثري من تجارته والذي يقلب صفحات التاريخ ويرى ان الاموال الاميرية كانت تجبى من نفس اصناف المحاصيل ويرى انه قد حرّم التجارة على الافراد في أهم تلك المحاصيل يعلم بالاجمال بعض اسباب تأخر المصريين في هذا الباب

ولو قدر الله لهذا الرجل ان يعطي الناس من الحرية التجارية ما أعطوه اليوم لكان لنا من تجار المصريين من يضارع تجار الاجانب في انماء الثروة

ولسنا نقصد بهذا القول غير تقرير الحقائق واظهار الاسباب التي دعت الى تأخرنا وان كنا نعذر ذلك الرجل لجهله بالاسباب التي ترفع الامم وترقي

العقول وتمي الثروة وهو امي عامي على ان بعض المصريين يصوبون احتكار محمد علي للتجارة ويقولون نعم انه احتكرها ولكنه منع الاجانب منها فلم يكن في البلاد اجنبي يتاجر ويربح من الناس فكان ربح التجارة مقصوراً عليه وبعبارة أخرى ان الارباح التجارية لم تخرج من البلاد قالوا وذلك لان الاجانب اوسع مدارك من المصريين خصوصاً في ذلك الزمن فلو سمح لهم بالاتجار في البلاد لاختصوا بثروتها

ويكفينا في الرد على هذه المزاعم ان نقول ان البلاد لودامت على تلك الحال لبقيت متأخرة الوف السنين وان وجود الاجانب بيننا نافع لنا كثيراً بل اننا بدون اختلاطنا بهم لا نتمكن من الوقوف على احوالهم وطرقهم التي تمكنوا بها من معرفة اسرار الوجود وترقية الشؤون الوطنية فوجودهم بيننا من اكبر الدروس التي تعلمنا كيف نعيش وكيف نزرع وكيف نصنع وكيف نتجر وكيف نرقى وكيف نقوي أنفسنا وننفع بلادنا لان الانسان لا ينسج الا على منوال ولا يعمل الا بمثال

نعم ان هؤلاء الاجانب يختصون بكثير من خيرات بلادنا في جانب افادتهم لنا في ترقية شؤوننا ولكن ربحهم هذا وقتي حتى اذا أخذنا عنهم نشاطهم واجتهادهم وحذونا حذوهم في اعمالهم واشغالهم حللنا محلهم من الاختصاص بالربح والفوز بمنافع بلادنا لما لنا من الميزة عليهم في معرفتنا أحوال الاهالي وبما سيكون لنا من الميزة في الاختصاصات الوطنية في مستقبل الايام مما لا يكون لهم وهم اجانب التبعية ولا حقوق لهم في البلاد فلا غرابة اذا قلنا

ان وجود الاجانب مفيد لنا في الاستقبال وان كان مضراً في الحال

والامة المصرية كبقية الامم الناس فيها على ثلاث طبقات العليا والوسطى والسفلى فاما الطبقة السفلى فلا يرى أهلها مانعا يمنعها من المتاجرة بكل ماتصل اليه يدهم ولكن هؤلاء تنقصهم المعارف في كل شيء ولذلك فقل ان ينجح منهم البعض في المتاجر لان أخلاقهم تدفعهم الى التواكل وعدم الاجتهاد وعدم النظر في المستقبل والعمل له وهؤلاء يكاد يقرب من المستحيل اصلاح حالهم الا اذا تنورت افكارهم بنور المعارف او مضت عليهم السنين الطوال وهم مختلطون بالاجانب من كل جانب

وأما الطبقة الوسطى فهي التي يمكننا ان نقول ان المقيمين منها في المدن قد اختصوا بالاشتغال بالصناعة والتجارة على قدر طاقتهم وقد كانوا من قديم الزمان مختصين بهاتين الحرفتين ولكنهم لما كان الظلم والاستبداد يغشيانهم كانوا منكمشين لا يجرأون على توسيع متاجرهم فلما مد العدل رواقه على البلاد اتسع لهم المجال فهبوا من سباتهم وتنبهوا من غفلتهم وهم في الغالب مقتصدون في عيشهم فنجح بعضهم نجاحا عظيما حتى ساوى بثروته تلك الثروات الطائلة التي حصل عليها قدماء المستبدين من طرق الظلم فلو عددت اغنياء القطر اليوم وجدت من بينهم كثيراً من أمثال السيد فلان والشيخ فلان والحاج فلان بدلا من فلان بك وفلان باشا وحتى ان اصحاب المتاجر المذكورة الذين كانوا في مصاف الطبقة الوسطى وأثروا باعمالهم ومتاجرهم قد قلدوا الطبقة العليا في التحلي بالرتب والالقاب فصار الخباز بيكاً والتمرسي باشا وأمثالهم كثير

قد يعرف منهم حضرات القراء عشرات. وعندي ان هذه الطبقة من التجار هي التي سيئول اليها ميراث الاغنياء من قدماء الذوات وابنائهم وذوي البيوتات القديمة المجد والعريقة في الحسب والنسب للاسباب التي سنذكرها في ما يأتي ولكن هذه الطبقة وان اختص كثير منها بمتاجر المدن الا أنهم قد حددوا لانفسهم اختصاصات في المتاجر فلا يتعدونها ولذلك قد حرموا انفسهم من ربح كثير من الاصناف التي اباحها القانون وبعدوا عن ان يزاحموا الاجانب في احوال كثيرة من التجارات الرابحة مما سنذكرها في الفصول الآتية بما يسعه المقام

وأما الطبقة العليا فحدث عن اهمال اهلها الاحتراف بالتجارة ولا حرج وليست المسئلة آتية من قبيل الاهمال ولكنها آتية من قبيل الانفة والكبرياء فترى ذوات البلاد وابناءهم يرون من العار والشنار عليهم ان يتنزلوا من سماء العظمة والافتخار بالآباء والاجداد الى الدخول في مصاف التجار وانت تعرف ان العظمة والغنى لا يدومان الا اذا كانا محوطين بالعمل للربح وهؤلاء قد انفوا من التجارة وهم مسرفون في عيشهم لا يحسبون لغدهم حسابا فيصبح الغني منهم فقيراً واذا لم يفتقر هو فابناؤه او اعقابهم متى كثروا ووزعت مواريث آبائهم عليهم والبلاد آخذة في انواع الزخارف في المعيشة وهذا يدعو الى السرف فتجد العين من الاعيان وقد أناخ الدهر عليه او على ابنائه بكلكله فاصبحوا فقراء ومع ذلك فهم يأنفون من التجارة ولا يرضى الواحد منهم ان يعطى له اسم تاجر ولو سأل الناس القوت اليومي ولذلك قلما تخلو

لعائلات الكبيرة من ذوي المجد القديم من وجود آحاد أو عشرات من أفرادها الذين افتقروا ولا عمل لهم غير طلب الاحسان من أقاربهم وغير التحدث بالمجد القديم والنعم التي علاها الصدأ ونخرها سوس الجهل فالى هؤلاء خصوصا نسوق الحديث عسى ان ندرك الغاية من البقية الباقية منهم وليس ذلك على الهمم بعزيز

ليست التجارة عيباً

للتقدم والتقهقر في أحوال الدنيا دلائل يراها الخبيرون باخلاق الامم وعاداتهم فيرجعون كل دليل منها الى سبب من الاسباب ويستنتجون منها ما سيكون في مستقبل هذه الامم ولقد مر في التاريخ من المسائل المدونة على صفحاته في ما يختص بالاندلس شيء من ذلك وهو أن هذه البلاد التي فتحها العرب عنوة واغتصبوها من يد ابنائها الاسبانيين قد كان لها من خشونة الفاتحين واعتيادهم شظف العيش وبعدهم عن ملاذ الشهوات وزخارف الحطام وتعلقهم بكل ما يصون فتوحاتهم ويحفظ كيان ممالكهم وسهرهم على حراسة ارضهم من كل طارق ما جعل بلادهم امنع من جبهة الاسد فلما استقر لهم الملك واستتب السلام وآمنوا مفاجأة الجار وظن اهلها انهم خالدون عليها مالوا الى التلذذ بكل انواع الشهوات وانكبوا على اللهو واللعب وتركوا تلك الخلال التي اكسبتهم الفخر واطعمتهم من جوع وآمنتهم من خوف واستعاضوا عن السيف والترس بالخود والكأس وبدلوا مجالدة الرماح بمعاقرة الراح فقام

عندهم العود مقام الجنود والقيثار مقام المرهف البتار وحل القصف والشرب محل الطعن والضرب وبالاختصار فانهم لما انغمسوا في النعيم ونفضوا ايديهم من ان تقبض على آلة دفاع يذودون بها عن حوض البلاد تفرقوا شماطيط وتقسموا شعوباً وتجزأوا طوائف وانقسموا على انفسهم فاغار عليهم العدو البعيد وطمع فيهم الجار القريب فسلب منهم ما سلبوا ورد منهم ما غصبوا واجلاهم عن ارضهم فخرجوا ولم يبق منهم في تلك البلاد الا من تنازل عن الدين والشعار ورضي بالخزي والعار فخلت بقاع الاندلس منهم وجر عليهم الانغماس في الشهوات هذه الويلات والنكبات .

ولقد كان وقوف اهل اوربا على قوتهم واستعدادهم في اخريات ايامهم مبنياً على اختبار يستحق الالتفات والاعتبار وهو انها صارت تبعث اليهم المراكب وبعضها مشحون بانواع الاسلحة وبعضها بآلات الطرب فكان الاهالي ينكبون على السلاح فيبتاعونه بالغا ما بلغ من العدد والقيمة وكانوا لا يلتفتون الى آلات اللهو وذلك في إبان عزهم وبقائهم على الاخلاق الشريفة فكانت أوربا تهابهم لانها كانت تعرف من ذلك قدرتهم على الدفاع وعدم اشتغالهم بالسفاسف فلما انقلب الحال صارت البضاعة الرائجة والتجارة الرابحة آلات الطرب ومسببات اللهو والزهو ومتممات النعيم فعرفت اوربا انه قد حان الوقت للاخذ بالثار فكان ما كان

هذا مثل من امثلة التاريخ شرحناه تمهيداً لما سنذكره من ان كثيراً منا يأنف من الاتجار ويعده من العار بل يرى انه لا يليق الا بذوي الاخلاق

السافلة والاصل الوضيع والمقامات المنحطة وكأن ابن خلدون نظر الى هؤلاء بلحظ العيب حيث قال « ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك » وعلل ذلك بقوله ﴿ وذلك ان التجار في غالب احوالهم انما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة ضرورة فان اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهي اعني خلق المكايسة بعيدة عن المروءة التي تتخلق بها الملوك والاشراف واما ان استرذل خلقه بما يتبع ذلك في اهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلابة وتعاهد الايمان الكاذبة على الاثمان رداً وقبولا فاجدر بذلك الخلق ان يكون في غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجد اهل الرياسة يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماه لشرف نفسه وكرم جلاله الا انه في النادر بين الوجود والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه وهو رب الاولين والآخرين ﴾ وابن خلدون معذور لانه انما قرر ما رآه في زمنه ولو عاش الى هذا الزمان وزار مخازن أوربا واماكن تجارتها لاسف على هذا وكذب نفسه بنفسه قبل ان يكذبه غيره لان اهل اوربا قد وصلوا الى الدرجة التي لا مساومة معها في اثمان السلع لانهم حددوا لكل سلعة ثمناً لا يبيعون باكثر منه ولا اقل ولذلك فامثالهم لا ينطبق عليهم قول الاقدمين « قامروا السوقة فانهم لا دين لهم » ولو زار ابن خلدون مخازن اللوفر ، وبون مارشيه ، بباريس أو هو ايتلي ، في لندن وعرف انه انما يشتري بضاعته وهو آمن من الغش والخلابة وتعاهد الايمان الكاذبة لا قربان حكمه انما كان قاصراً على اهل زمنه وامثالهم من الامم المتأخرة

وان من أهم شروط التجارة الآن في أوربا الامانة والصدق والثقة وحسن المعاملة وان بدون هذه الخصال لا ينجح تاجر ولا تروج بضاعته وان النجاح في انماء الثروة انما يكون متعلقاً بتوفر هذه الشروط في الاشخاص أو الشركات

ومعلوم ان الطبقة العالية من كل أمة لو اهتمت بصالح البلاد لجملتها تخطو خطوات سريعة الى المدنية لانهم اقدر من غيرهم على تنفيذ كل ما يجول بخاطرهم من المشروعات الجليلة والاعمال النافعة ولذلك فاننا نقول ان ذوات مصر واعيانها وكبار رجالها اذا دخلوا في التجارة واحترفوا بها لحلوا ولا شك محل الاجنبي الذي يبتز اموالنا بحق وبدون حق وحينئذ تنحصر ثروة البلاد في اهلها ويقل وفود الاجنبي المزاحم لهم الذي كاد يقاسمهم املاكهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع والذي كاد يسودهم ثروة كما سادهم بالامتيازات وعار عليهم ان يروا الاجنبي يتمتع بما يمكنهم ان يتمتعوا به من ثروة بلادهم

وعندي ان الجرائد التي تشدد النكير على الاجانب في لومهم وتعنيفهم لانهم يختصون بكثير من خيرات البلاد بواسطة الصناعة او الزراعة أو التجارة تخطئ المرمى لان الاولى والاجدر بهذا اللوم والتعنيف هم ابناء البلاد الذين يغفلون مصالحهم ويريدون ان الاجنبي الذي ترك اهله وتحمل مشقات الاسفار للوفود على هذه الديار يحافظ لهم على تلك المصالح التي اضاعوها وأي ثمين أضاعوا . وهذا مما تأباه الاطباع المتبالدين الكسالى وعار ان نكون منهم

واذا قلنا لذواتنا واشباههم وليس العهد ببعيد ان السير ارنست كاسل

الذي وهب مصر اربعين الف جنيه من ماله الحر لمداواة امراض العيون لم يزد على كونه تاجراً أوهل يصدقون هذا القول وهل يرى اعظم عظيم فيهم ان من العار التشبه بهذا الرجل وهو من الرجال الذين خلقهم الله لينفعوا انفسهم ويخففوا ويلات الفقراء من الجنس البشري ؟ . . . كلا ؟

واذا اضفنا الى هذا الرجل كلا من امثال روتشيلد وركفلر ومورجان وكارنجي وقلنا ان هؤلاء من اكبر اغنياء العالم وانهم كذلك تجار لا اكثر وانهم القابضون على ازمة الاسواق التجارية في الممالك وانهم الافراد الذين تحتاج اليهم الحكومات في اوقات شدتها وازماتها المالية افلا يصدقون ؟ وهل لاتحدثهم انفسهم بان يحرزوا من الثروة ما يحرزون ويحترفوا بما كانوا به يحترفون؟

اجماليات في التجارة

من المعلوم ان التجارة عبارة عن محاولة الربح من السلع والبضائع على اختلافها اما بابتياعها باثمان رخيصة وبيعها بالغالي واما بنقلها من بلد يكثر صنفها فيه عن حاجة أهله الى بلد يقل وجودها فيه عن حاجة أهله

فتعريف التجارة بسيط جداً يقف الانسان عليه في بضعة أسطر ولكن العمل به من الاشياء التي تحتاج الى الروية وامعان النظر لانه ليس من السهل ان يعرف الانسان الطرق التي يشتري بها كل سلعة بثمن رخيص ثم يبيعها بثمن غال والا ابطلت التجارة او بعبارة أوضح لصار كل انسان تاجراً فهو غير محتاج الى تاجر .

أما أسباب غلاء أسعار السلع فأهمها ان يشتري الانسان البضائع في حين رخص ثمنها وهذا لا يكون الا في احوال ثلاث الاولى ان تكون في أبان كثرة وجودها وذلك في مثل محاصيل الغلال وأصناف المزروعات وهـذا يكون في زمن نضجها وجنيها حتى اذا خزنها التاجر ومضى عليها زمن قل فيه صنفها عرضها للطالبين فيشترونها بثمن أغلى لانهم اليها أحوج من ذي قبل . والثانية ان تبتاع جملة أي بكميات كبيرة ثم تباع مجزأة أي بكميات صغيرة حيث لا يشتريها الا غير القادرين على ابتياع كميات وافرة منها . والثالثـة ان يكون التاجر عالماً باسعارها في البلدان فيأخذها من المكان الذي يراها فيـه رخيصة وينقلها الى المكان الذي تطلب فيه بكثرة حيث يكون ثمنها غالياً . ففي الاحوال الثلاث التي ذكرناها يتمكن التاجر من الربح وبقـدر علو فكر التاجر وزيادة خبرته باحوال اسواق التجارة ومعرفته جيد البضائع ورديئها وتحينه الاوقات المناسبة للبيع والشراء يكون ربحه منها ، والقاعدة التي يبنون عليها تقدير قيمة البضائع هي كما يرشدنا الى ذلك علم الاقتصاد السياسي ما يقال له « العرض والطلب » فاذا كثر المعروض من البضاعة وقل طالبها هبطت قيمتها وبالعكس اذا قل المعروض منها وكثر طالبوها ارتفعت قيمتها . هـذه هي القاعدة المعروفة الا ان يعرض لها حوادث طبيعية تجعل فيها شذوذاً

وكما تكون التجارة في أنواع السلع والبضائع المنقولة كذلك تكون في العقارات والاملاك وحكمها في الربح حكم البضاعة بتحين الانسان غلو ثمنها باسباب تجزئتها أو تغير حالة موقعها أو زيادة منافعها . وكذلك تكون التجارة

في نفس النقود من قبيل القرض بالفائدة فانها تعد من باب التجارة وان لم يكن هناك بضاعة ابتيعت ثم بيعت وعلى التجارة في النقود أسست أغلب البنوك والبيوتات المالية

ويوجد نوع آخر هو ان تبتاع أصناف السلع قبل تهيئتها للبيع كأن يشتري الانسان القمح قبل ان ينضج بل قبل ان يزرع على ان يستلمه الشاري في مواعيد تقرر بينه وبين البائع ويسمى هذا البيع في الشريعة الاسلامية « بيع السلم » بتشديد السين المفتوحة وفتح اللام وفي العامية « الرمية » وفي عرف تجار الاسواق « الكنتراتات » وفيه تحصل المضاربات المالية التي سيأتي ذكرها بعد ويوجد فرق صغير بين بيع السلم وبيع الكونتراتات ولكنهما متشابهان من أغلب الوجوه

فاذا وقفنا على ما تقدم عرفنا ان المصريين في حاجة شديدة الى الدخول في غمار التجارة وان يتقنوا فنها ما دامت مرتبطة بالزراعة والصناعة لانهما بدونها لا يجديان نفعاً ولو فرضنا اننا تقدمنا فيهما وبقيت التجارة في يد غيرنا من المزاحمين لنا من الاجانب لخسرنا ارباحاً كان في استطاعتنا ان لا نخسرها. وحيث عرفنا ذلك وجب علينا ان نبين ما يجب ان يلاحظه كل ذي عزم على الدخول في التجارة فنقول

لا شك في ان الذي يريد ان يتخذ التجارة حرفة له لابد له من الحصول على رأس مال يمكنه من القيام بالعمل والا فلا تجارة بلا مال فمتى كان

الانسان واثقاً من وجود المقدار الكافي من المال اللازم لعمله كان له ان يقوم بالواجبات الآتية

— أولا — ان يختبر الحركة التجارية في الصنف أو الاصناف التي يريد ان يتجر فيها ويخالط أهلها ويقف على كل أحوالهم وكيفية معاملاتهم وأخذهم وعطائهم لتتربى عنده ملكة التجارة ان لم يكن ممن درسوها في المدارس فان هذه الملكة توجد فيه روح النشاط وتعلمه كيف يعامل الناس الذين يرتبط معهم بأشغاله

— ثانياً — ان يعرف الموارد التي يستمد منها البضائع وأثمانها الاساسية لان كثيراً من الوسطاء والسماسرة يغشون التجار وأحسن شيء في هذا الباب ان يعامل التاجر البائع مباشرة أي بغير وسيط فانها أضمن للربح ولجودة السلع ما دام هذا الامر ممكناً

— ثالثاً — ان يعرف كيف يتصرف في هذه البضائع بالبيع الذي يعود منه الربح المطلوب

— رابعاً — ان يعرف ما ذا يلزمه من الزمن والنفقة بوجه التقريب حتى يربح ليبني حسابه على ذلك لان كثيراً من الناس يدخلون في غمار التجارة وهم على غير علم بهذا الحساب ظانين بأن التجارة تروج من أول الاخذ بها فتكون العاقبة وخيمة لما يخسرونه من وراء ذلك والسبب انه كما توجد للصناعة علل قد تعوق العمل كذلك توجد للتجارة علل قد تعوقها فتؤخر الربح فلابد من تقدير هذه العلل قبل الدخول فيها أو ملافاتها بالصبر بعد الوقوع فيها

ـ خامسا ـ ان يعرف كيف تنتقى العمال الذين يلزمون للمعاونة على العمل من كتبة وأمناء وخدمة ، وبما ذا يتمكن من مراقبتهم وكيف تدارحر كتهم

ـ سادسا ـ ان يعرف ضبط الحسابات في الدفاتر وترتيبها بحيث تكون سهلة المراجعة لانها من أهم أركان النجاح في التجارة

ـ سابعا ـ ان يعرف مركز تجارته ومكانها الذي يرى انها تروج فيه

ومتى وقف على كل ذلك وشرع في العمل كان عليه ان يعمل على ما يضمن بضاعته من الفساد والتلف وذلك لا يكون الا بوضعها في اماكن تحفظها جيدة وبالتأمين عليها من شركات الضمان من الحريق ان كانت مما يخشى عليه ان يحرق وكان عليه ايضاً ان يعمل كل الوسائط التي تروج بضاعته ليس بالغش والنفاق وتعاهد الايمان الكاذبة ولكن بايصال العلم بها وباصنافها الى الناس بواسطة النشر في الجرائد السيارة أو بمنشورات خاصة توزع في اماكن المجتمعات العامة ، اوفي اشهر المنازل ان كانت مما يحتاج الى ذلك

وانفع النصائح التي يجود بها الناصحون على التاجر ان لا يستدين اكثر مما يمكن ان يقوم بوفائه في مواعيد سداده وان لا يبيع بالدين الا لكل مؤتمن موثوق به في حسن المعاملة

وقد ينجح بعض الناس الذين لا يتمسكون بهذه الاحوال والاسباب التي ذكرناها ولكن في النادر الذي لا حكم له فعلى الانسان ان يعمل بالقواعد المقررة والاسباب الصحيحة وان لا يعتمد على الشواذ ولكل مجتهد نصيب

ممّ يربحون

ليس من السهل أن يعرف الانسان أي صنف من صنوف التجارة أربح من بقيتها ولكن من السهل أن نعرف أن كل التجارات تربح متى توفرت في القائمين بها شروط الاخذ بالقواعد العامة التي أشرنا اليها في المقالة السابقة. واذا لم يكن في استطاعتنا تعيين صنف واحد من صنوف التجارة تكون أرباحه أكثر من البقية كان لنا أن نعين جملة منها

ولا يغيب عن فكر القارئ أن بلاداً مثل مصر تسع مئات الالوف من الاجانب لا يفدون اليها الا بقصد الاتجار تكون ولا شك من أحسن البلدان وأوسعها ميداناً للتجارة بل تكون أضمن بقعة يربح فيها الوطني وهو الخبير بأحوال بلاده بل هو الواقف عليها والعالم بها

وعندي أن أبلغ درس في التجارة وأقربه الى فهم المصريين هو ان ينظروا الى من حولهم من اغيف الاجانب التجار فان صنوف التجارة التي يتجرون فيها هي أربح الصنوف فلينتقوا منها ما شاؤا وليعملوا كما يعملون فانهم ولا شك يربحون

ولو كنا في بلاد غير البلاد المصرية لقلنا للناس لا تقدموا على التجارة الا بعد أن تدرسوا قواعدها في المدارس وتمرنوا على ذلك بالعمل في أشهر المحلات التجارية عدة من السنين لانكم تزاحمون أكفاء أقوياء عالمين بأساليب البيع والشراء ممن عندهم من رؤوس الاموال ما لا تملكون وصعب على

الانسان أن يقاوم القوي المدرب او ينازل البطل المجرب ولكننا في مصر حيث كل بضاعة رابحة وحيث لا يلزم للراغب في التجارة من رأس المال ما يلزم لمثله في أوروبا وحيث يتهافت المصريون على البضائع الاجنبية تهافت الفراش على النار وحيث يربح التاجر بقليل من المال كثيراً .

ولست أبالغ اذا قلت أن الانسان ببضعة قروش يمكنه أن يكون تاجراً عظيماً ومن ذوي اليسار الذين يشار اليهم بأطراف البنان في هذه الديار. وحتي لا ينكر علي القارئ هذا القول يجب علي أن أضرب له مثلاً حقيقياً من هذا القبيل واليه يساق الحديث .

أعرف رجلاً يونانياً حق المعرفة خرج من بلاده مطروداً من والديه وكان يسمع عن مصر انها بلاد الخير والغنى فحدثته نفسه بأن يرحل اليها ولكن ضيق ذات يده لم تمكنه من دفع أجرة السفر فاحتال على ذلك بأن وقف في ميناء بلاده وعرض نفسه على من يريد استئجاره لحمل البضائع ولم يكن حينئذ يجاوز الخامسة عشرة فصار يربح ما يوازي قرشين بنقود مصر فكان ينفق على طعامه وسكناه قرشا ويقتصد قرشاً الى ان اقتصد قيمة أجرة السفر في مركب شراعي فنزله وجيبه أفرغ من فؤاد أم موسى ولم يكن يهمه حينئذ الا أمر طعامه وحيث انه كان في المركب كثير من المسافرين الذين يطبخون طعامهم بأنفسهم فقد رأى صاحبنا ان يعرض نفسه عليهم بأن يقوم مقامهم لانضاج الطعام مقابل أجر يتقاضاه هو أن يأكل ما يتبقى منهم الى أن يصل الاسكندرية فقبل بعضهم هذا الشرط وفرح هو بظفره بهذه الامنية

وانتصاره على الجوع الكافر وما زال حتى وصل الاسكندرية فنزلها وليس في فكره من الشواغل غير ان يعمل ليأكل فعرض نفسه على كثير من أرباب القهاوي والبقالين فقبله أحدهم على ان يعمل عنده بأجر هو سبعة قروش في الاسبوع ويأكل وينام فقبل بهذا الاجر ولكن شكاسة أخلاق البقال وقساوة قلبه على ابن جلدته نفرت هذا الصبي منه فلم يقم على هذه الحال الا ريثما اقتصد أجرة السفر وذلك لاسباب طبيعية هي ان البقال كان يكلفه بما لا طاقة له به فكان يلزمه أن يفتح حانوته في الساعة السادسة صباحاً ثم يكنسها وينظف زجاجها ويضع كل آنية من الآنية التي تعرض خارج الحانوت في مكانه ويقيم طول نهاره يبيع الى نصف الليل

ولو كان هماً واحداً لاحتملته ولكنه هم وثان وثالث

ولو ان البقال يسمح لهذا الصبي بيوم أو نصف يوم يروض فيه نفسه ويقضي فيه بعض مصالحه الخاصة لبقي هذا الصبي ولكنه كان يحب ان يستخدم صبيانا من حديد لا ينامون ولا يكلون ولذلك فارقه الصبي بعد ثلاثة أشهر أقامها على هذه الحال . ولقد رأى الصبي بالتجربة ان عقدة الاشكال هي في الاستخدام بالمدن الكبيرة لأنها تستدعي عدم الراحة ولم ير للخلاص من هذه الورطة الا ان يقصد الارياف حيث يسود السكون وتقل الراحة

ولبس عباءة وتقر عيني أحب اليّ من لبس الشفوف

فقصد أقرب مدينة من مدن الصعيد وما حل ركابه السعيد بها حتى أخذ يعرض نفسه على البقالين فقبله أحدهم وكان رجلا قد بلغ من الكبر عتيا

وجعل له جعلا أسبوعيا هو ثمانية قروش غير اكله وسكناه وقد وافقته أحوال الرجل لانه كان يسمح له بيوم راحة ورياضة في الاسبوع فقضى عنده ثمانية أعوام اقتصد فيها نحو خمسة عشر جنيها وساعده على اقتصاد هذا القدر ان الرجل كان يخلع عليه من اطماره البالية ما يجعله في غنى عن ان يشتري ملابس جديدة . فلما حصل على هذا القدار من المال حمد الله وأثنى عليه واستسمح البقال في ان يخرج من عنده ليتجر ولكنه عاهده على ان لا يبتاع ما يحتاج اليه من البضائع الا من عنده ما دامت هذه البضائع موجودة عند البقال فسمح له بذلك فلما خرج اكترى حانوتا صغيراً جعله مأواه ومركز تجارته وأخذ يتجر في التبغ (الدخان) والزيتون والجبنة والزيت والخل وقد اختار هذه الاصناف لانه كان في حاجة الى التدخين وكان غذاؤه من الزيتون والجبنة فكان يكتفي بقرش صاغ في اليوم ينفقه على الخبز وشيء من أنواع (السلطة) مضافا الى الجبنة والزيتون والخل والزيت فكان اذا ربح اربعة قروش أو خمسة في اليوم أنفق منها قرشا واقتصد الباقي فصار رأس ماله يزداد وهو يوسع في تجارته دون نفقته حتى اضطر الى ان يستحضر أخاه من بلده ليساعده وليربحا معا فحضر اخوه وعاونه على الربح الى ان تم لهذا الصبي قدر من المال لم يكن ليحلم به في المنام وحدثت حادثة فرقت بين الاخوين فافترقا بالحسنى وصار كل منهما مستقلا بعمله في تجارته لنفسه خاصة

اما صاحبنا فقد وقع نظره على قطعة ارض كانت تباع في تلك المدينة فساوم صاحبها فيها وابتاعها بمائة وخمسين جنيها ثم اخذ في بنائها وكانت الناس

تعجب منه كيف انه قدر على ابتياع هذه الارض وقد زاد عجبهم اذ رأوه قد بناها من ثلاثة ادوار وجعل في الدور الارضي منها نحو ثمانية حوانيت خص نفسه بأحسنها موقعا واكبرها اتساعا . فلما تم له تشييد هذه الدار سكن في بعضها واجر الباقي واجر ما بها من الحوانيت ووسع تجارته وحانت له الفرصة فتزوج وصار رب عائلة ولكن تجارته ما زالت تتسع حتى اشترى نحو مائة فدان بحيث اصبح دخله نحو ثلاثين جنيها في الشهر

هذه حكاية رجل اعرفه حق المعرفة وليس هو من كبار الاغنياء الذين يضرب بغناهم المثل ولكنه ممن دأبوا في التجارة وعملوا عمل الرجال واوجدوا لانفسهم ثروة تنفعهم وتنفع ابناءهم من بعدهم فلا غرابة اذا قلنا ان في قدرة الانسان ان يكون ذا ثروة بغير رأس مال ولكنه في هذه الحالة يجب عليه ان يعيش عيشة صاحبنا الذي كان اجيراً بثلاثين قرشا في الشهر فأصبح ذا ثروة يستغل منها ثلاثين جنيها في الشهر

ولو بحثنا عن اعمال اغنياء الاجانب الذين استوطنوا مصر بقصد الاتجار لرأيناها لا تزيد عن مثل ما عمله صاحبنا وان كل « الخواجات » الذين نسمع عن شهرتهم في الغنى لم يفدوا الى هذه البلاد بمال كثير بل وفدوا كما وفد « خواجتنا » المذكور وانهم لم يحرزوا الغنى الكثير بفتح الكنوز ولا بالتمائم والطلاسم وانهم لم يعتمدوا في كل اعمالهم على البخت والسعد بل على الجد والقصد

مم يربحون

كلمة ثانية

قلنا في مقالتنا السابقة ان المصري اذا نظر الى لفيف الاجانب الذين يفدون على مصر وعلم ما يتجرون فيه من صنوف البضائع عرف فيم يتجر ليربح لان هؤلاء الاجانب قد بحثوا بواسع علمهم وطول اختبارهم عن اربح التجارات في مصر فاشتغلوا بها فحصلوا على المكاسب الطائلة . وقد رأينا ان هذا التنبيه لا يكفي لارشاد الغافلين عن مصلحتهم واياهم نعني فاردنا بهذه الكلمة الثانية ان نذكر بعض اصناف التجارات لعل ذكرها صريحاً يشوق الى الاخذ بها والتمسك باسبابها وهي

ـ محاصيل البلاد ـ ولا شك انها اربح المتاجر لصاحب الراسمال الكبير لانها اكثر الاصناف كمية وطلباً خصوصاً ما كان منها لازماً لمعامل أوربا وما كان منها مختصاً من حيث الزراعة بأرض مصر كالقطن ولكن التجارة في هذا الصنف تستلزم الخبرة الزائدة باحوال السوق خصوصاً أحوال الكونتراتات لان عليها مدار الربح والا فانها قد تكون السبب الاكبر للقضاء على ثروة التاجر غير ان كثيراً منهم لم يشأ أن يخاطر باموالِه ويجعل ثروته عرضة للضياع فتراه يقف للسوق بالمرصاد يعلم احواله في البلد الذي ترسل اليه تلك المحاصيل ويقف على اخباره وقتاً بوقت وساعة بساعة فهو لا يشتري من تلك المحاصيل الا بعد العلم بمقدار ما سيربحه منها تقريباً بعد مقارنة ثمن الشراء بثمن البيع واضافة قيمة المصاريف وهو اذاً متى اشترى من هنا باع

هناك اما بواسطة البريد أو بواسطة التلغراف وما ذلك الا ليكون ربحه اضمن ولو انه يكون قليلا لانه اذا تكرر الربح القليل في الزمن القليل صار على طول السنة كثيراً .

ومن التجار من يشتري المحاصيل ليخزنها ويتحين ارتفاع ثمنها متى شح صنفها وهذا لا يكون الا مع اتساع الثروة وعند عدم احتياج التاجر لان يمد يده الى البنوك لانها قد تضطره في وقت نزول سوق تلك المحاصيل الى سداد ما تكون قد دانته به فيضطر الى بيع تلك المحاصيل بالثمن الحاضر وقد يكون بخساً فتخسر تجارته

اما المضاربة وهي نوع البيع والشراء بالكونتراتات فانه قد يكون فيه الربح الذي لا ينتظر غير انه قد يكون داعياً أيضاً الى الافلاس متى هبط السوق على الصنف الذي يكون قد اشتراه التاجر او متى صعد على الصنف الذي يكون قد باعه وليس للسوق درس يدرس فطالما سمعنا عن بيوتات مالية كبيرة وبنوك قد افلست مع ان اصحابها ومديريها كانوا من احسن الناس خبرة باحوال الاسواق

والسبب في ذلك ان بضعة نفر في اميركا وانكلترا من ذوي الثروة الواسعة قد احتكروا الاسواق وليس احتكارهم هذا آتيا من قبيل الاجبار والاكراه أو من قبيل اخذ الامتيازات من الحكومات وانما هو من قبيل التحكم بواسطة المال فتى اتفقوا وهم كبار التجار على تحديد ثمن الصنف جرى السوق على هواهم لان مرجع جميع التجار في الاحتياج للنقود اليهم ولذلك فقلّ من ينجح في

المضاربات وقد يربح التاجر من المضاربة مرة أو مرات ولكن هذه المرة تجعله مغرماً بالمضاربة ومتى كانت المضاربة ديدنا له فقد تذهب ثروته صفقة واحدة وليس المضارب في البورصة الا كلاعب الميسر يغتر بالربح مرة أو مرتين ثم لا يمضي عليه زمن طويل حتى يضطر الى بيع ملابسه

وبناء على ما تقدم قالوا ان الذي يريد ان يربح كثيراً في زمن قليل انما يعرض ثروته للمخاطر فهو بين ان يخسرها فيصبح فقيراً أو ان يربح بها اضعافاً فيصبح من كبار الاغنياء واحسن نصيحة توجه الى التاجر هو ان يجعل همه في الربح القليل المضمون ولسنا ممن يقول ان كل تجارة تربح كثيراً هي عرضة للخسارة الكثيرة فان من التجارات ما يربح كثيراً ومع ذلك فهو غير عرضة للخسارة وسنقص عليك من امثال هذه التجارة ولكننا ممن يؤكد لك ان المضاربة تعرض الثروة للضياع فلا تتخذها ديدنا لك واذا كنت قد ربحت منها فيكفيك ما ربحته وان كنت قد خسرت فيكفيك ما خسرته والافانت باحث عن حتف ثروتك بظلف غرورك

ومن التجارات التي يتجر فيها الاجانب في بلادنا ـ تجارة الاقمشة ولوازمها ـ والملابس المجهزة ـ والعطارة ـ والحدائد وفيها أدوات الزراعة والبناء والآلات البخارية ـ والخردوات ـ والعطارة الكيماوية ـ والوراقة والكتبية وادوات المدارس ـ وكل هذه التجارات من التجارات الرابحة والتي يجب ان يهتم بها الوطنيون ليسابقوا فيها الاجانب

ـ انواع الاغذية ـ ولسنا نقول ان تجار هذه الاصناف من الاجانب

اكثر عدداً من الوطنيين ولكن لا يوجد بين الوطنيين من يثري منها الا العدد القليل فللاجانب القدح المعلى في أرباحها خصوصاً في مدينتي مصر والاسكندرية

وقد يجد المصري من الطبقة الوسطى أن من العار أن يكون تاجراً في هذه الاصناف على أنه لا عار من التجارة في أي صنف بل العار في أن لا يشتغل الانسان بالنافع وان لا يربح وانني لاعرف أناساً كثيرين لهم دخل قليل يكاد لا يكفي لضرورياتهم وهم يجثون ويجهدون قواهم في طرق أبواب الحكومة للاستخدام في وظائف راتبها لا يزيد عن خمسة أو ستة جنيهات مع أنهم لو اتخذوا التجارة في هذه الاصناف أو في غيرها لربحوا اضعاف اضعاف هذا الراتب القليل ومع ذلك فقد يجد الانسان من نفسه عجزاً عن أن يشافه هؤلاء بانهم مخطئون كل الخطأ فليس لنا من سبيل الى زجرهم وارشادهم الى طرق نجاحهم الا هذه الصحف التي تنصح لهم حال انفرادهم داخل مخادعهم فلا تخشى ان تخجلهم في المجالس أمام أصدقائهم وعارفيهم

فمن مبلغ عني هذه الفئة من المصريين الكسالى ان الجزار الافرنجي يربح في سوق الخضر اكثر من ثلاثين أو أربعين أو خمسين جنيهاً وكذلك الخضري بل قد يربح بعضهم مائة جنيه في الشهر وهو في تجارة حرة يأمر وينهي فأين هذا من خادم الحكومة خصوصاً اذا كان الراتب قليلا ويد رؤسائه فوق يديه وهو على كل حال مأمور مسوق الى العمل بالاجبار والاكراه وقد يكون كفؤاً لوظيفته ومع ذلك فلا يكون رئيسه راضيا عنه لخلة قد تكون من أشرف الخلال وهي عدم رضاء المرؤوس بالتزلف والتملق لذلك الرئيس فقس هذا

على ذلك واختر انفسك أشرف الحالين وأربحها

وقد شاهدت في أوربا نوعاً من التجارة في المأكولات لم أشاهده في مصر فينقصها مثله وهو الجمع بين كل أنواع المأكولات واعرف من نوعها مخزنا في باريس لرجل اسمه «فيلكس بوتان» وهو يبيع كل ما يحتاجه الانسان من أنواع الاغذية فمن اللحوم والخضر الى الخبز والمحفوظات من البقول والحبوب والاسماك والزيوت وكل ما يخطر ببالك مما يؤكل

تقرب مساحة مخزن هذا الرجل من مساحة سوق الخضر بالقاهرة وهو يطبع تعريفات اثمان الاصناف التي يبيعها ويوزعها كل ثلاثة شهور على أشهر البيوت ويعطيها ويرسلها لكل من يطلبها ويرسل معها عدة كشوفات مطبوعة ومعنونة بعنوان مخزنه فما على الراغب فى ابتياع شيء الا أن يرصده في كشف منها ويضع على الكشف ورقة البريد ثم يلقيه في صندوق البريد فيصله مطلوبه في اليوم الثاني الى محل سكناه . وقد أعد انقل البضائع التي تطلب منه بهذه الصفة عربات كثيرة نظرت منها العربات التي نمرتها فوق الستين . فقدر في عقلك مقدار أرباح هذا الرجل وقل لاخواننا المصريين ان مصر في حاجة الى مثل هذا المخزن وأبلغهم عني ان لا عيب في التجارة بل العيب كل العيب والعار كل العار أن يجد الانسان منا مثل هذه الابواب مفتحة تقبل الالوف ثم يهملها انفة أو كسلا ويطرق أبواب الحكومة ليبقى ذليلا وضيعاً تحت تصرف الرؤساء أو عالة على الاهل والاقارب والخلان والاصدقاء ويسخط على الزمان والمكان ويلوم الحكومة على انها في مثل هذه الحال غير ملومة

ممّ يربحون

كلمة ثالثة

شرحنا في الفصل السالف عدة من صنوف التجارات الرابحة في مصر وسنشرح في هذا الفصل بعضاً من ملحقاتها اتماماً للفائدة وتنبيها لاخواننا المصريين على الاخذ باسباب النجاح في تحصيل الثروة فنقول

لقد طرق الاجانب في بلادنا كل باب ناجح وتمسكوا بكل سبب يغدق عليهم الخيرات ولذلك اصبحوا اغنياء محسودين على ما بأيديهم من المال الذي لم يفدوا به من بلادهم بل ان كثيراً من المصريين ينظر اليهم بعين المقت والغضب وقد تحدثهم انفسهم بأن الاجنبي لا حقّ له في الاثراء بأرض غير ارضه فهو اذاً غاصب ثروته من مال المصريين مغير على غير حقوقه على ان عقلاء مصر يرون غير رأي هذا الفريق منهم ويقولون ما لنا وللاجنبي نلومه مع أنه لم يغتصب لنا حقاً ولا اكرهنا على ان لا نزاحمه في موارد الرزق في بلادنا بل اللوم كل اللوم علينا لاننا لم نلتفت الى ما التفت اليه ولم نسع سعيه ولم نجتهد اجتهاده في الاختصاص بمنافع بلادنا وخيراتها فالتجارة حرة ولكل مجتهد نصيب

وهذه ثلاث مسائل سأشرحها لك ايها القارئ اللبيب ولا اطلب منك الا ان تنظر فيها بعين نقادة وفكرة وقادة ثم تحكم حكمك العادل اذا كنا قد اصبنا في تركها لغيرنا ام اخطأنا ، اما تلك المسائل فهي

اولا — الفنادق

ثانيا — المطاعم

ثالثاً — القهاوي

فهذه ثلاث وسائل من وسائل التجارة وقد اختص بها الاجانب اختصاصا كاد يدخل في ذهن العامة انهم قد اخذوا بها امتيازاً من الحكومة خللتها لهم وحرمتها على الوطنيين على ان امرها مباح للوطني كما هو مباح للاجنبي ولكن إباء الوطني ونفسه العزيزة التي ترضى الفقر او تخضع لاستعباد التوظف تمنعه من ان يتشبه بهؤلاء الاجانب في هذه الوسائل الرابحة

واذا قلنا ان الوطنيين يرون انفسهم غير أكفاء لادارة هذه المتاجر فهم مقرون بالعجز امام قدرة الاجنبي سهل علينا حل هـذا المشكل وقلنا انهـم معذورون ولا يكلف الله نفساً الا وسعها ولـكن الذي يجعلنا لا نعذرهم في المسئلة كونهم يقولون انهم لا يرضون ان يقال عنهم انهم أصحاب فنادق ومطاعم وقهاوي وأنت تعرف ماذا يكون المصير اذا ابينا ان نشتغل بمثل هذه التجارات على طول الايام مع انها تسع المئين والالوف منا ممن لا حرفة لهم غير البطالة

وانك اذا ذهبت الى اي بلدة من البلاد المتمدنة فلا تجد أهلها قد تركوا هذه التجارات لغيرهم كما فعلنا نحن فقهاوي فرانسا وفنادقها ومطاعمها هي في أيدي نفس الفرنساويين وكذلك في ايطاليا وانكلترا والمانيا . فمن اكبر الواجبات ان يقوم منا من يتخذ صنوف هذه التجارات حرفة له يشتغل بها ليثري منها ويزاحم غيره من الاجانب . ولعل الخامل الكسول من المصريين يقول لك ان في الامر لسراً لو فطنت اليه لما شددت النكير على اخوانك

في حثهم على اتخاذ هذه التجارات اسباباً للربح حتى اذا استوضحته هذا السر الغامض همس في اذنك لفظة « الدين »

واني لاعجب كثيراً من تشبث هؤلاء الغافلين منا بمسئلة الدين للامتناع عن كل امر نافع فاذا قلت لهم تعلموا علوم اوربا قالوا يمنعنا الدين . واذا قلت لهم اعملوا كما عمل الغربيون في تعزيز جانبهم بالوسائط المادية قالوا يمنعنا الدين ثم هم من جهة اخرى يشربون الخمور ويوغلون في الفجور ولا يخشون الدين

وهذه القهاوي التي تفتح في كل حين ومكان لا تفتح الا لتربح من هؤلاء الغافلين فأين هو الدين ؟ واني لو خيرت بين ان اكون من السكيرين المدمنين او ان اكون من بائعي الخمور وكان لا بد لي من اتخاذ احدى الحالين لاخترت الثانية وآثرت المعصية مع الربح في التجارة ، لانها انفع من المعصية مع الخسارة!!!

واذا كان لا بد من استمرار كثير منا على معاقرة المسكرات ولا بد من ان تنفق اموالنا عليها فليس من صالح الامة ان تترك هذه الاموال لتتسرب الى ايدي الاجانب بل لا بد من قيام فئة منا بهذه التجارات على اختلافها لتبقى ثروة البلاد موزعة بين اهلها فاذا خسرتها فئة ربحتها أخرى فهكذا يكون شأن الناس العقلاء الذين ينظرون الى الاشياء نظر الناقد البصير الذي يأخذ بالاصلح ويترك التعلق بسفاسف الامور

عبارة أقولها لك ايها القارئ وأرجو منك أن تصغى اليها وهي - اقعد في قهوة من القهاوي الشهيرة بجانب اخوانك وأفتح لهم سيرة القهاوي واصحابها

والفنادق واربابها وتحدث عن أرباحهم وأعمالهم يجيبوك بالجواب الآتي «والله انهم ليربحون كثيراً اولاد الكلب وان صاحب هذه القهوة كان صبياً في قهوة فلان فكيف أثرى » ثم يقولون « كلهم اولاد كلب يأتون بلادنا فقراء ولكنهم لا يلبثون ان يصيروا اغنياء من اموالنا » ثم ينتهي الحديث بان هؤلاء الاجانب أولاد كلب فقط ولا يقوم من اصحابك هؤلاء او امثالهم وهم كثيرون في البلاد من يزاحم اولاد الكلب في التجارة التي جعلتهم اغنى واسعد من اولاد غير الكلب

والخلاصة من هذا كله ان المصريين مخطئون كثيراً في ترك هذه المتاجر التي تعطي من الربح ما يزيد على خمسين في المائة في السنة بل قد تربح مثلها مئة وهذا خير كثير يحرم المصريون انفسهم من تحصيله وهم قادرون على مزاحمة الاجنبي فيه فهم اولى ببلادهم وبارباحها وتجاراتها

كلمة ختامية في التجارة

انما هي كلمة نقولها لننبه اليها عدداً كبيراً من المصريين تضيع أوقاتهم سدى فلا ينتفعون فيها بشيء يعود على أشخاصهم أو على بلادهم بفائدة ما ، على ان الانسان ما خلق ولا وجد في هذه الحياة ليأكل وينام والا فهو والحيوان الأعجم سواء لا يمتاز عنه الا بنطق اللسان

من هذا العدد فريق المرفوتين من وظائف الحكومة والدوائر الملتصقة بها وفيهم المتقاعدون ولا نعني بهم اولئك الذين بلغوا من الكبر عتيا وانما نعني

بهم كل من كان فيه رمق القوة والمقدرة على العمل فأولئك قدذهبت نضرة شبابهم واصبحوا ولا أمل لهم الا في ان يرتاحوا من عناء الاعمال حتى يأتيهم ذلك اليوم وما هو عنهم ببعيد

ان الثمانين وبلغتها قداحوجت سمعي الى ترجمان

وأما هؤلاء الذين ابقى الدهر فيهم بقية نافعة هي الثروة والسعادة بعينها لمن احسن التصرف فيها وما هي الا القوة والعقل

وليت شعري ما الذي ينقص صاحب القوة والعقل حتى يلقي حبل عمره على غاربه ويقطع اوقاته في البطالة او في ما لا فائدة منه ؟ هلم بنا ايها القارئ اللبيب نبحث عن المرفوتين في عاصمة البلاد المصرية او في غيرها من المدن فهل نجدهم الا في القهاوي او امام بيوتهم جلوسا يتلهون بتافه الحكايات والاقاصيص او في قباب الاضرحة وهم يضرعون الى الله ويتوسلون بالمشائخ من آل البيت وغيرهم لتقضى حاجتهم التي يرون فيها سعادة الدارين وما هي الا التحاقهم بأحدى وظائف الحكومة ، وكل هؤلاء ممن قد قطع الامل في عودهم الى الوظائف لان الحكومة محتاجة الى حكام أمهر منهم وذوي معارف كثيرة تحتاجها وظائف الزمن الحاضر ولو عقلوا لمالوا عن رغبتهم هذه وعرفوا ان ظروف الزمان ابعدتهم عن تلك المناصب وانهم لن تقوم لهم قائمة الا اذا خلعوا عنهم رداء التواكل ونفضوا يدهم من غبار الكسل والخمول وولجوا باب التجارة وهي اقرب اليهم من غيرها فأصبحوا ذوي اعمال مستقلين بها وتجددت في اوجههم حياة جديدة وان حصر آمال هذه الفئة في الرجوع

الى وظائف الحكومة يكون في كثير من الاحيان سبباً في تعاسة اهلها وشقائهم فيقضون بقية حياتهم على ابواب الدواوين متمثلين بالمثل العامي الذي يقول (ان فاتك الميري تمرغ في ترابه) ولكن فاتهم ان هذا المثل قدضرب لاهل الزمن السابق حيث كان الموظفون ذوي شأن عظيم لاستقلالهم بالاحكام وعدم المراقبة عليهم واما الآن فقد اصبحت الوظائف مقيدة بقوانين وقد عرف الاهالي كثيراً من تلك القوانين فصعب على الحاكم ان يستبد بهم كما كان حاكم الزمن القديم يسومهم سوء العذاب لغاياته ويسيرهم طوع اغراضه وشهواته

ومن هذا العدد ايضاً فريق من المتعلمين الآن فهم لايزالون يطرقون ابواب الحكومة على ان وظائف الحكومة محدودة وهي آخذة في النقص والقلة لما يحدث من الاقتصاد في اداراتها ومصالحها بسبب ترتيب الاعمال للعمال فيها واما فريق المتعلمين فهو في ازدياد سنة عن سنة ولذلك كثر عدد الذين لا يحترفون بحرفة في البلاد وكان يجدر بهؤلاء وبالفئة السابقة ان يستغنوا عن الحكومة كما استغنت عنهم وان يبحثوا لهم عن اعمال يشغلون بها وقتهم الثمين واضف الى هاتين الفئتين فئة ابناء الذوات الذين لاعمل لهم غير السرف والسفه والاشتغال بسفاسف الامور

يشكو كثير من هؤلاء الملل من الحياة كما يشكو من الحكومة ويريدون ان نظامات البلاد تتغير بما يوافق مشاربهم وافكارهم ويدعون انهم يريدون اصلاح حال البلاد والحكومة واكبر جناية يلقونها على عاتق الحكومة هي

عدم انتقاء موظفيها على أنك لو فتشت قلوبهم لوجدت كل شكوى من هذه الشكاوي مبنية على انهم هم أهل لتولي أعلى المناصب فلماذا لا ننتقي منهم الموظفين ولماذا تفضل غيرهم عليهم . ولو أنصف هؤلاء ومالوا الى الاشتغال بالزراعة او الصناعة أو التجارة والتجارة اقرب اليهم لانها تحتاج الى معارف اقل من الزراعة والصناعة وهي كثيرة الانواع متعددة الصنوف فحينئذ كانت تنتفع البلاد بأعمالهم وتقل جالية الغرب عن الوفود الى البلاد فيختص أهلها بخيراتها وهم أحق بها من سواهم

هذا ما أردنا أن ندونه ترغيباً لذوي البطالة من المصريين ونعني بهم كل من لا يشغل أوقاته بما يفيد شخصه أو ينفع الهيئة الاجتماعية ولم يبق علينا الآن من الارشادات في مسائل التجارة الا ان نحذر من يريد الاشتغال بالتجارة في البضائع الاوربية ان لا يغتروا بأقوال السماسرة الذين يتوسطون في جلب تلك البضائع من أوربا فكثير منهم كان سبباً في خيبة عدد غير قليل ممن اتخذوا التجارة حرفة في هذه الايام الاخيرة والسبب في ذلك أن هؤلاء الوسطاء يجلبون هذه البضائع بأثمان عالية فلا يربح منها تجارنا فلا بد اذاً من معاملة تجار أوربا مباشرة بدون وسطاء أو من معاملة الوسطاء ولكن بعد الوقوف على اثمان البضائع الاوربية من أربابها اذا لم يكن لهم بد من معاملة أولئك السماسرة

وللتخلص من هذه الورطة التي وقع فيها الاوربيون من قبل ثم التفتوا اليها وتخلصوا منها نرشد الذين يرغبون في الاحتراف بالتجارة الى كتب

جامعة يعرفون منها أسماء كبار التجار في أوربا بل في العالم اجمع وبواسطتها يخاطبون أولئك التجار ويقفون على أسعار السلع وبعد ذلك يكون لهم الخيار اما في معاملتهم مباشرة او بتوسيط السماسرة ولكن بعد علمهم بحقيقة تلك الأثمان

اما تلك الكتب فهي ثلاثة بعنوان واحد وهي

Annuaire du commerce (Bidot — Bottin)

وتعريبها (مرشد التجارة السنوي) وهي ثلاث كتب أحدها لباريس والثاني لبقية مقاطعات فرنسا والثالث لبقية البلاد الأجنبية غير فرنسا والكتاب منها يساوي عشرين فرنكا تقريباً ويمكن جلبه من باريس بواسطة أي مكتبة افرنكية وقد توجد منه هنا نسخ في تلك المكاتب

وفائدة هذه الكتب هي ان يجد التاجر فيها عنوان أشهر المصانع والفابريكات والمتاجر في كل بلاد أوربا فيخاطبها رأساً ليعلم منها اثمان البضائع التي يريد ان يتجر فيها ويتخلص من غش السماسرة

وهذا آخر ما أردنا ان نعلقه في موضوع اسرار النجاح الآن والعاقل من سخر يومه لغده والسلام